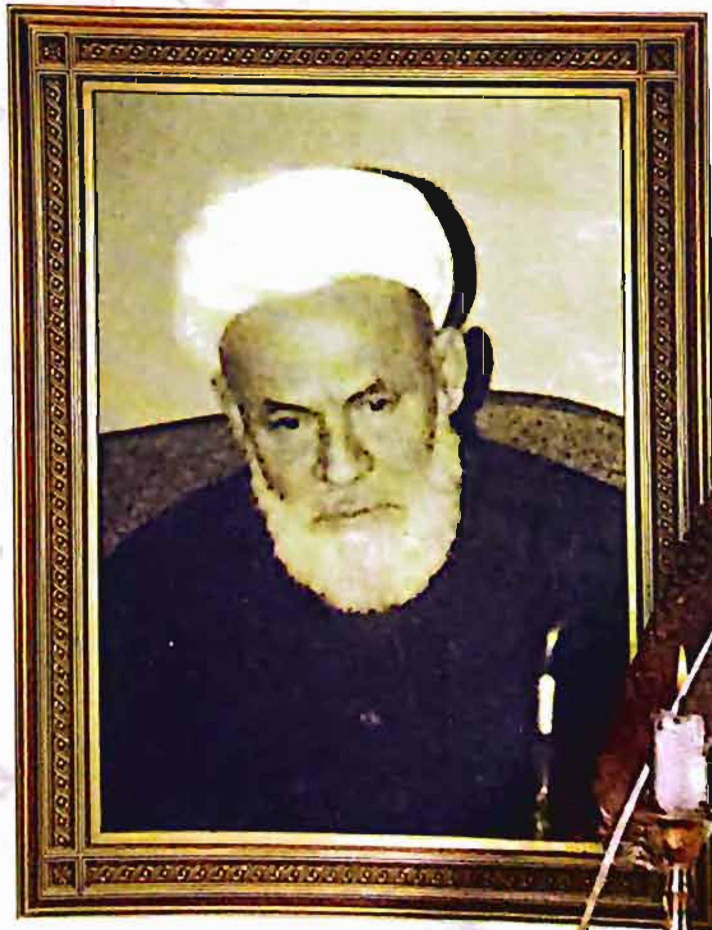
العلّامة الشيخ حسين معتوق

شمسٌ بين محرابٍ ومِنبَر





الفهرس

الفصل الخامس

الفصل السادس



المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلاّمة الشيخ حسين معتوق، اسمٌ لَمَعَ في أواسط القرن العشرين، حيث استطاع بفطنته الفريدة أن يحوّل المنبر الحسينيّ إلى مدرسةٍ تُعلّم الناس مناهج الحياة والعزّة.

غيّر نظرة الناس نحو العلماء في وقت كانت فيه الحركات الإلحاديّة تعمل ليل نهار من أجل إبعاد الناس عن دينهم وقِيَمهم ورسالتهم وعلمائهم.. فقد واجههم بكلّ قوّة، واستطاع أن يحدّ من أذاهم لا سيّما في منطقة الغبيري في بيروت، وفي قرى النبطيّة في جبل عامل.

إنّه بحرٌ لا حدود له، كلّما قرأتَ عنه كلّما ازددتَ عطشاً وشوقاً لمعرفة المزيد، ولعلّ الباحث عن جهاد العلاّمة الشيخ حسين معتوق ونشاطه وعمله، سيقف حائراً أمام الفيض الهائل من عطاءاته ومشاركاته؛ لذا فإنّ هذا الكتاب، ما هو إلاّ لمحة مجملة من عمره الشريف، وقد تمّ إعداده بناءً على مقابلات مع بعض من عرفه من بلدته وأقاربه.

وللشيخ محطات بارزة تصلح أن تُدوّن في سجّل الكرامات العظيمة، فهو يقول عن المتقاعسين في طلب العلم: «**لا عذر لأحد في التقاعس عن طلب العلم، فإن كان السبب الفقر فأنا كنت فقيراً، وسلكت هذا الدرب، وأَعتبر نفسي حجّةً على المتقاعسين**».

وبعد الشرارة الأولى من انطلاق ثورة الإمام الخمينيّ قدس سره كان يدعو الله مبتهلاً أن ينصر هذه الثورة ويكتب لها النجاح، وأثناء ذكرى أسبوع أحد المقاتلين اليساريّين في بلدة كفرصير، قال: «**بأنّه بدل التلهّي بالحروب الداخليّة، فإنّه من الأفضل أن يتمّ دعم الثورة الإسلاميّة في إيران**»، حتّى إنّه قال لرجل لديه خمسة أولاد في الأحزاب العلمانيّة، ولدى إجابته عن سؤال حول الإمام الخمينيّ قدس سره قال للسائل: «**خَمّس أولادك عند الإمام الخمينيّ**».

وعن القتال والجهاد، وأثناء الحرب الأهليّة وما حصدته من ويلات في بيروت وضواحيها، كان يوجّه كلامه دائماً نحو الاتجاه الصحيح، فيقول في غير مرّة: «**العدوّ الحقيقيّ لنا هو الكيان الإسرائيليّ الغاصب، من أراد أن يقاتل عدوّاً فليقاتل إسرائيل، فإسرائيل عبءٌ كبير على لبنان والأمّة...**»

إنّه العلاّمة الشيخ حسين معتوق، الذي وهب كلّ وقته لخدمة **المؤمنين، متنقّلاً بين مسجد القبيري** ومسجد صير الغربية، وله في **كلّ مكان قصّة جميلة، وفي كلّ بيت مكان مألوف**، وفي كلّ قلب ممّن **عرفوه مكانة لا تمحوها الأيّام ولا السنوات**.



مقدّمة المركز

وتبقى مسيرة العلم والعلماء منارات هدى ومصابيح بصيرة تقود الأمّة إلى سبيل الرشاد، وتنقذهم من ظلمات الجهل والضلالة، وقطرات ماء تبعث الحياة في النفوس فتُعطيها المعاني الحقيقيّة للوجود ليتجلّى التوحيد في السلوك، وتعمر القلوب بالإيمان، فتسيل الحكمة في أوعية المعرفة، وترسم للأمّة معالم الطريق الذي لا يَرْعوي أعداء الدين عن محاولات طمس أنواره بأفواههم أو بغبار يثيرونه لتعمية الناس عن رؤية جادّة الهدى.

إنّ المركز الإسلاميّ للتبليغ، وإيماناً منه بعظمة جهود العلماء الأعلام الذين حملوا هذه الرسالة في الزمن الصعب وواجهوا التحدّيات المختلفة، يرى لزاماً عليه أن يقدّم كلمة شكر وكلمة وفاء لهؤلاء الأطهار الذين مهّدوا السبيل وثبّتوا المداميك الأولى لهذا الصرح الكبير، ونثروا البذور الأولى لهذا الزرع الوافر الذي تنعم الأمّة اليوم بمختلف نعمه الوافرة.

إنّ واجب الشكر لهؤلاء العلماء الذين سبقونا في العلم والتجربة والعمل ونحن ننهل من معين تجاربهم، من حيث نشعر أحياناً ومن حيث لا نشعر أحياناً أخرى، أن نحيي ذكراهم ونعترف بأسبقيّتهم وفضلهم، فمثلهم كمثل الجنود المجهولين الذين يبنون مجد الأمّة ولا ينتظرون منها جزاءً ولا شكوراً، وإنما يتوسّمون الرفعة والعلياء عند ربّ الأرباب وإله الأرض والسماء.

إنّ واجب الوفاء لهم عدم الغفلة والنسيان عمّا قدّموا، فإنّ من معايير الأمّة الراشدة أن تبرز ما تكنُّه لعلمائها ورجالات الهداة فيها من احترام وتقدير، مدركة لجمال ما صنعوا وشاكرة لجلال ما تركوا، وحاملة لأمانة ما خلّفوا بصدق وثبات.

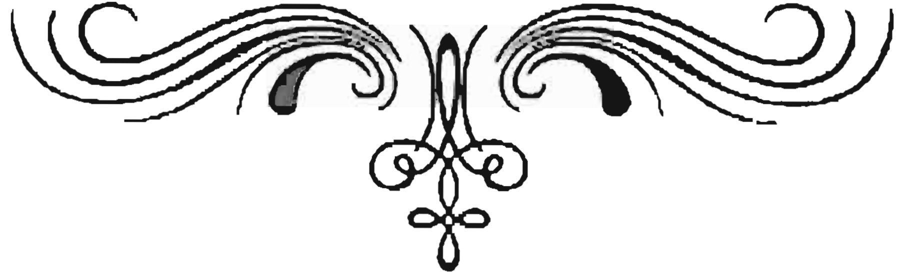
إنّ فضيلة الشيخ حسين معتوق قدس سره واحد من هؤلاء الرجالات الذين سطع نجمهم في ليالي الأمة المظلمة، وتلألأت أنواره في غفلة الجهل والضلالة، فكان المعلم والمربّي والهادي الذي تربّى تحت منبره الكثيرون، وتتلمذ على يديه نخبة من الطلاب الذين أضحوا من أهل العلم والفضل والإيمان، فنسأل لهم الله تبارك وتعالى أن يمنّ على أمّتنا الإسلاميّة بالمزيد من أمثال العلاّمة فضيلة الشيخ حسين معتوق قدس سره لتبقى شعلة العطاء والعلم والجهاد مشعّة متوقّدة إلى يوم القيامة.



الفصل الأول



بزوغ الشمس





المولد والنشأة

وُلد الشيخ حسين معتوق قُدِّسَ سِرُّهُ في بلدة العباسيّة، من قرى جبل عامل في قضاء صور، عام ١٣٣٠هـ الموافق لعام ١٩١٢م، وقد نشأ يتيماً في عائلة فقيرة تعتمد الزراعة مصدراً لمعاشها، إذ توفّي والده يوسف مصطفى معتوق قبل أن يبصر النور، ومن هنا نعلم أنّه قد بدأ مسيرة الحياة عصامياً، إذ لم يقف وراءه سوى أمٍّ طاهرة مثاليّة كانت تكابد الجهد والمشقّات لكي تؤمّن له العيش بكرامة، وينتهي أمر هذه الأمّ البارّة إلى أن تدفع ولدها بهدوء، لكي يمضي إلى النجف الأشرف، عاصمة العلم وحاضنة الحوزة العلميّة، مع ما في ذلك الدفع من التفاني والتضحية بوجود ولدها الوحيد قربها، فقد كان له أخوان كبيران هما حبيب وخليل، لكنّهما سافرا إلى الأرجنتين بُعيد الحرب العالمية الأولى، وهو طفل في سِنِيه الأولى، ولم يَعد منهما إلى الوطن سوى حبيب في منتصف عام ١٩٦٦م، إلاّ أنّه ما لبثَ أن يمّم وجهه شطر المهجر مرّة أخرى في آخر العام نفسه، ووافته المنيّة في بيونس أيرس عام ١٩٧٨م. هذه الأمّ لطالما كانت



تمنّي النفس برؤية ولدها وقد عاد إلى البلاد عالماً كبيراً. وكان ذلك بعد ربع قرن من الزمان. عاد الشيخ حسين معتوق عالماً مرموقاً ومشهوداً باجتهاده، لكن بعد أن رحلت إلى الباري الكريم.

- المسيرة العلميّة

تلقّى علومَه الأوليّة من الأجرومية والقطر والخطّ والحساب عند الشيخ إبراهيم ياسين، ثمّ انتقل إلى طيردبّا لمتابعة الدراسة عند الشيخ حسين مغنيّة قدس سره.

وفي العام ١٣٤٧هـ، هاجر إلى العراق لمتابعة دراسته الدينيّة في مدينة النجف الأشرف، حيث درس الرسائل عند السيّد حسين الحمامي، والمكاسب عند السيّد محمود الشوشتري، وحضر درس الخارج في الفقه عند الشيخ محمّد عليّ الخراسانيّ الكاظميّ، وخارج الكفاية عند الشيخ عبد الحميد ناجي، ثمّ خارج العروة الوثقى عند السيّد محسن الحكيم قدس سره، حيث انقطع إليه انقطاعاً تامّاً، إلى أنْ بلغ الأخير مرحلة المرجعيّة.

وفي هذه الفترة، كانت تشدّه أواصر الصداقة التي عمّقها البحث العلميّ إلى نفرٍ من علماء جبل عامل كالشيخ إبراهيم سليمان، والسيّد عبد الرؤوف فضل الله، والسيّد محمّد سعيد فضل الله وغيرهم.

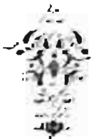
ولقد كانت الظروف الحياتيّة التي مرّ بها الشيخ حسين معتوق في

فتـرة دراسته المذكورة صعبة للغاية، تتّسـم بالفقر المُدقع، والدأب والسهر على التحصيل، لا فرق في ذلك بين الليل والنهار.

وعـن هذه الفترة يتحدّث الشيخ إبراهيم سليمان، وهو من عاصر الشيـخ حسين معتوق طيلة أيّـام دراسته، فيقول في سياق ترجمته له فـي كتابه (علماء جبل عامل): «لقـد بنىَ نفسه بنفسـه، وكوّن ذاته بذاتـه، مـن غيـر أب يلوذ بـه أو وليّ يعتمـد عليه، ولقد مـرّت عليه وعلينـا فترات من الضيق، دفعت بنـا إلى الاشتغال بالعلم بدلاً من أن تحطّ عزيمتنا، أو تُقلّلَ من جهدنا، فكأنها كانت حافزاً لنا لبلوغ الغاية التي نتوخاها بدلاً من الاشتغال بالدنيا وحطامها، والأثاث والرياش والملابس الفخمة والمآكل الشهيّة.

وقد كان فقر أساتذتنا وعلى رأسهم السيدان الحكيم والحمامي، والشيـخ عبد الحميـد ناجي، والشيـخ منصور المحتصـر، والسيّد الشوشتري والشيخ علـيّ غلام القميّ، والسيّد الكيشوان وغيرهم، مثـلاً أعلـى لنا يُرينا أنّ العلم لا يجتمع مع المال، وأنّ العلم قرين الفقر والصبر والجهد والتعب والبحث والدرس.

وكنّا نرى التحقيق في جانب الفقر، وغيره في جانب الغنى من مشايـخ النجـف البارزين، لقد خرّجـت النجف أيّـام الفقر عشرات المجتهدين من أهل جبل عامل الأشمّ وحده، فضلاً عن بقيّة بلاد الشيعـة الشاسعـة الواسعة، ولـم تخرّج أيّام الغنى ربـع أو ثمن هذا العدد».

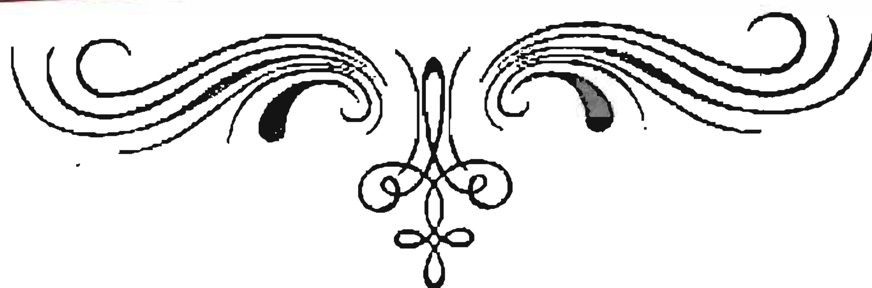


- العودة إلى الوطن

بعدَ أن حازَ الشيخ حسين معتوق على درجة الاجتهاد المطلق، بإجازة من المرجع الديني الأعلى السيّد محسن الحكيم، انتُدب من قِبَلِه لممارسة مهمّة الإرشاد الدينيّ في مدينة بيروت، فكان أن شدّ الرحال إليها في عام ١٣٧١هـ الموافق لعام ١٩٥١م، واختار محلّة (الغبيري) مكاناً لإقامته وشرع في ممارسة مهامّه الدينيّة التي لم تكن تقتصر على المحلّة المذكورة، أو على مدينة بيروت بالذات، بل كانت تتّسع شيئاً فشيئاً حتى شملت جميع الأراضي اللبنانية، وخاصّة حين انفردَ بمهمّة تمثيل للمرجعيّة العظمى في لبنان تحت عنوان **«المعتمد الدينيّ الأوّل للمرجع الأعلى»**.

الفصل الثاني

السيرة التبليغيّة





الفعاليّات الدينيّة والروحيّة

لقد عاد الشيخ حسين معتوق قدس سره إلى لبنان، واستقرّ في (الغبيري) في فترة كانت فيها بيروت تُعاني من فراغ دينيّ، وكانت البلاد إجمالاً في الخمسينيّات والستينيّات تتّجه نحو العلمانيّة والفكر اليساريّ، المروِّج غالباً للإلحاد، والإنفلات الغرائزيّ الذي كانوا يسمونه حريّة وتحرُّراً، ومن مقولاتهم المشهورة: «**الدين أفيون الشعوب**»، وقد حاصرت هذه الأفكار الدين والمتديّنين بحيث كانت العلاقة بين رجل الدين وسائر الناس محدودة وغير وثيقة، ممّا يزيد في صعوبة دوره والحدّ من نشاطه.

ومن هنا نعلم أنّ الشيخ حسين معتوق قدس سره قد بدأ باستقراره في بيروت رحلة الألف ميل، من نقطة الصفر، فقد كان همّه هو التأسيس قبل كلّ شيء وفي عدّة مجالات، وهكذا نجد أنّ دوره في كثير من الفعاليّات التي سنعرضها كان تأسيسيّاً غير ذي سابقة، وسوف نحصر عرضها في الآتي:

١- إحياء الشعائر الدينية والروحيّة:

ويمكن الحديث عن عدّة إحياءات منها:.

أ - إحياء الشعائر الحسينيّة:

وذلك بإقامة مجالس العزاء التي تنطوي على سيرة الثورة الحسينيّة، وإلقاء الخُطَب التي تتعرّض لتحليل فكر هذه الثورة العظيمة، وكان يقيم هذه المجالس في أيام عاشوراء فضلاً عن سائر أيّام السنة، وكان يركّز في إقامتها على جامع الغبيري، الذي قام بنفسه بتجديد بنائه، والذي كان يشكّل أكثر المجالس أهميّة في أيّام عاشوراء من كلّ سنة، وفي الوقت نفسه كان يُشرف على إقامة هذه المجالس في أماكن أخرى.

وفي هذا المجال، يظهر دوره التأسيسيّ واضحاً، غداة كانت المجالس قبلَ قدومه إلى لبنان، وفي الفترة الأولى لاستقراره في بيروت، بدائيّة سطحيّة لا تتناسب مع مستوى هذه الذكرى ومُعطيات تلك الثورة العظيمة. فكان دائماً يفكّر في تطويرها بحيث تلتقي مع المستوى الثقافيّ الذي كان يرتقي شيئاً فشيئاً في بيروت، وخاصّة على صعيد الشباب، وبالأخص طلاّب الجامعات، فكان أن اهتدى أخيراً إلى فكرة استقدام قارئ عزاء من أفذاذ مدينة النجف الأشرف، التي يتخصّص فيها بعض أصحاب الكفاءات، في قراءة المجالس الحسينيّة، ويتفرّغون لكيفيّة تطويرها بحيث تتلاءم مع هذا الزمن.

وقام بتنفيذ هذه الفكرة في أوائل الستينيّات، حيث شدّ الرحال إلى العراق، وهناك فتّش النجف حتى عثرّ على غايته المنشودة في شخص الخطيب الفذّ الشيخ عبد الوهّاب الكاشي (رد) فأحضره في تلك السنة إلى لبنان، مُوَكلاً إليه أمر القراءة في مجلس الغبيري.

وحين شاهد الناس أوّل انهمار الغيث، كَثُرَ الطلب عليه في السنوات اللّاحقة، بحيث صار يعهد إليه أيّام عاشوراء في بيروت وحدها، بخمسة مجالس يوميّاً، فضلاً عن مجلس مدينة بعلبك المهمّ، ومجالس أخرى خاصّة.

وهكذا ذاعت شهرته، وأصبح يُشار إليه بالبنان، كلّما ذكرت القراءة والثورة والمجالس الحسينيّة، ولقد كان الشيخ حسين معتوق قدس سره حتّى أواخر أيّامه الشريفة، هو الذي ينظّم مجالس الشيخ الكاشي، ويُنسّقها بالتعاون مع العلماء الآخرين في بيروت، الذين كانوا يرغبون بأن يتولّى الشيخ الكاشي القراءة في مجالسهم الحسينيّة في عاشوراء.

ولقد بلغَ جامع الغبيري من الأهميّة في أيّام الشيخ حسين معتوق قدس سره، بحيث أن يُغلق الشارع الرئيسي المؤدّي من مستديرة المطار إلى الحازميّة، في وجه حركة السير تماماً يوم عاشوراء، من الثامنة صباحاً وحتى الظهر، موعد انتهاء العزاء الحسيني، ويعود السبب في إغلاقه آنذاك إلى تجمّع حشد المستمعين، الذين

كانوا يؤمّون هذا المجلس من مختلف نقاط بيروت والأراضي اللبنانيّة.

ب- إحياء شعائر شهر رمضان المبارك:

إنّ لشهر رمضان في كلّ مكان سِحراً، وإنّه في كلّ زمان ينبوع خير وبركة، وهو من السَّحَرِ إلى السَّحَر عبارة عن رَحَمات تتنزَّل من السماء على أهل الأرض تَهيب بهم أن يعودوا إلى الله في شهر الله، وإنَّ لهذا الشهر المبارك، في آخر لياليه وخصوصاً ليالي القدر في جامع الغبيري طَعماً ولَوناً آخرين، حيث يتحلّق جمعٌ غفير من المؤمنين، الذين جاؤوا من شتّى المناطق، حول الشيخ حسين معتوق قدس سره، الذي يقود جمعَهم في إحياء هذه الليالي العظيمة المليئة بالبركات، وخاصة الليلة الثالثة وهي ليلة الثالث والعشرين.

إنّ جَلَسات الدعاء تلك، كانت تطول لتستمرّ أحياناً سبع ساعات، تتخلّلها استراحات محدودة، وكانت تشمل أدعية مشتركة من قبيل دعاء الجوشن الكبير، ودعاء السحر، وأدعية تختصّ بليلة دون سواها..

ففي الليالي: لقد أثبت الشيخ حسين معتوق قدس سره أنّه في لحظات السموّ الروحي، تُختزل الكثير من القواعد الماديّة والطبيّة، حيث يظل مثابراً على إحياء تلك الليالي حتى الصباح، بنفس الجُهد إن لم

نقل بأكثر منه، في سنوات عمره الأخيرة، بالرغم من إصابته بمرض خطير في قلبه.

وفي النهار: لقد كان يُطيل المكث في المسجد عقيب صلوات الظهرين في أيّام شهر رمضان المبارك، وذلك لقراءة الأدعية النهاريّة العامّة والخاصّة.

وقد كان هذا هو الدافع له لتأليف كتاب «**منهج الدعوات في أعمال شهر رمضان المبارك من الأدعية والصلوات**»، هذا الكتاب الذي جمع فيه كلّ شاردة وواردة تختصّ بهذا الشهر العظيم، مُعتمداً في تأليفه على أمّهات الكتب في هذا الباب، وعلى أوثق الأسانيد والمصادر، بحيث جاء من أكثر كتب الأدعية اختصاصاً بشهر رمضان المبارك.

ج- إحياء شعائر يوم الجمعة:

لقد كان الشيخ حسين معتوق قُدِّسَ سِرُّه يُولي يوم الجمعة اهتماماً خاصّاً، ويُعِدُّ له إعداداً فريداً، وكان يتفرّغ في صباح أيّام الجمعة لاستقبال المؤمنين الذين كانوا يرافقونه ظهراً إلى مسجد الغبيري لإقامة الصلاة، وفي المسجد كان يركّز اهتمامه على خطبة الجمعة ويعتني بالسُّنَن والمُستحبّات، بما فيها تلاوة الزيارة المأثورة بعد الصلاة.

د- بناء المساجد والحسينيّات:

ساهم سماحة **الشيخ حسين معتوق** قُدِّسَ سِرُّه في إطلاق العشرات

من المساجد والنوادي الحسينيّة والمستوصفات والمكتبات العامّة، كما وساهم في مدّ يد العون إلى الكثير من النشاطات الاجتماعيّة والإنسانيّة، وفي هذا السياق نذكر منها:

- الإشراف المباشر على بناء النادي الحسينيّ في بلدة صير الغربية في قضاء النبطيّة، وتجديد المسجد فيها وتوسيعه.
- ضمّ المسجد الجامع في الغبيري إلى النادي الحسينيّ.

التعليم الدينيّ ودعم الجمعيّات:

كان للشيخ مساهمة فعّالة في التعليم الدينيّ في بيروت والمناطق، حيث كان يعيّن أساتذة لخصوص التعليم الدينيّ في المدارس الرسميّة وبعض المدارس الخاصّة، ويقوم بدفع رواتبهم.

كما عمل على دعم التجمّعات الدراسيّة الدينيّة في لبنان، من خلال دفع الرواتب لطلّاب العلوم الدينيّة، وتأمين السكن لهم في بعض الأحيان، كي لا يضطرّوا للهجرة إلى الحوزات العلميّة في الخارج في وقت مبكّر.

أنشطة تبليغيّة مختلفة

مهمة الإرشاد الدينيّ والوعظ الأخلاقيّ، التي كان يقوم بها من خلال إمامة الجماعة في الغبيري، حيث كان يربط الناس بالعالم الآخر، ويصرف أنظارهم عن الدنيا وزخرفها. وله

خُطب تعتبر نموذجاً فريداً في مجال الوعظ، بحيث كانت تنفرد بأسلوب يذبّ الشباب عن حلقوم الشيطان، ليلقي بهم في نور الإيمان والتوحيد.

وكانت حياته تتميّز بالزهد والبساطة الواضحة، ممّا كان يجعل لكلامه ولمواعظه أكبر الأثر في نفوس الناس، ومن وجوه بساطة حياته أنّه طوال عمره كان يلازم غرفة له صغيرة، كانت عبارة عن كلّ شيء بالنسبة إليه، فهي غرفة استقبال الناس، وهي غرفة الطعام، وهي غرفة المطالعة وإدارة الشؤون العامّة التي كانت من جملة مهامّه، وهي بالتالي غرفة نومه، وفي آخر حياته، حين بلغ أوجَ شهرته، كانت حياته لا تختلف قيد أنملة، عن حياته في أيّام دراسته.

القيام بمهمّة الإرشاد الدينيّ من خلال التردّد إلى الكثير من المناطق، وخاصّة في جنوب لبنان، حيث كان يولي عناية خاصة لمنطقة النبطيّة، وبالأخصّ قرى صير الغربيّة وكفر صير والقصيبة، والقرى المحيطة بهذه القرى أيضاً.

وكان يتردّد بشكل ملحوظ إلى القرى الشيعيّة في منطقة كسروان وجبيل حيث استطاع أن يقوم بدور إرشاديّ وتبليغيّ ملموس.

وكان يخصّص يوماً أو يومين في الأسبوع، يقصد فيه المناطق المذكورة في الجنوب أو الشمال، وكان في كلّ بلدة يَقصدها

يقوم بإمامة المصلّين من أهلها في مسجدها، وإقامة اجتماع عامّ يتحدّث فيه إلى أهالي البلدة، ثمّ يتبع ذلك اجتماعات خاصّة في منازل أهلها، وكانت تُعتبر من أكثر مجالس الفقه والأدب أهميّة.

وكان من خلال هذه الجولات، يتعرّض إلى مشاكل النّاس ويحلّها بالطريقة المناسبة، وبالقدرة التي تسمح بها ظروفه وإمكانيّاته.

ولقد كان يقوم بمهمّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر على وجهها الأتمّ، ولم يكن يتأخّر عن إنكار المنكر بيده في كثير من الموارد، وهي طريقة كانت تستند إلى جرأته وقوّة شخصيّته، إذ كان لا يخشى في الله لومة لائم.

الإجابة عن استفتاءات الناس، وقد غدَت هذه من مهامّه الأولى كممثّل للمرجع الدينيّ الأعلى الذي كان في كثير من الموارد يطلب في الاستفتاءات الواردة إليه من لبنان عدم تكلّف الكتابة إليه، والاعتماد على مراجعة الشيخ حسين معتوق.

القضاء بين الناس بحكم الله ورسوله، وحلّ المشاكل الشرعيّة والإشراف على المعاملات والبيوع والوقفيّات، والأمور المتعلّقة بالزواج والطلاق وما شابه.

نشر مناقب النبيّ ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام :

لقد كان الشيخ حسين معتوق قدس سره يُولي الاهتمام الكبير لتعريف

الناس على مناقب الأئمّة الأطهار والسيرة النبويّة الشريفة، وقد أفرد لذلك مساحات كبيرة في العديد من خطبه وكتاباته حول هذه القضيّة المحوريّة، في زمن كانت الأفكار الماركسيّة تغزو عقول الناس لا سيّما الشباب. فهو كان دائماً يقول: «**نحن ولله الحمد، معشر الشيعة، أغنياء وأعزّاء، بهذا النفر، بهذا السلف**».

٢- من بعض أقواله:

كلامه عن الدين الإسلاميّ ورقيّه:

- لقد نشرت الدعوة الإسلاميّة ألوية الحضارة خفّاقةً على ربوع الأرض في أقلّ من ربع قرن.
- الدعوة التي قادها النبيّ محمّد ﷺ، وسعدت في ظلّها البشريّة جمعاء، يوم أن علا الحقُّ شامخاً في عزّته، وسقط الباطل صريعاً بعد صولته.



- وهكذا كما أضاءت مكّة ببعثته، وأشرقت المدينة بهجرته، فقد سُعدت الدنيا برسالته. فذكريات الهجرة تعيد إلى الأذهان طلائع الإيمان، متمثّلة في جند الرحمن. فلا بِدَع إذا كان يوم الهجرة أعظم أيّام التاريخ.

كلامه عن النبيّ الأعظم ﷺ:

- ففي الهجرة زحف إلى حيث القوّة والجهاد، لا رغبةً في

الحـرب من أجل الحرب، بل لإقرار السلام في الأرض، الذي تمّ من وراء المسيرة الكبرى، التي قادها النبيّ محمّد ﷺ.

- ومضـى ﷺ يشقّ الطريق، لتأخذ الدعوة سبيلها في الأرض. متحمّـلاً من الأعباء فوق المستطـاع. وقد إستقبلته الأحداث المتنوّعة، التي غيّرت وجه الأرض، ووجه الحياة، حتّى اضطر إلى الخروج من وطنه.

كلامه عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام:

- لا شـكّ أنّ من يرجع إلـى التأريخ، يجد واضحـاً جليّاً، أنّ آل عليّ عليه السلام هم ميزان المجتمع وقادته وسادته.
- لقد ترجمت بطولة عليّ عليه السلام، وهو مضطجع في فراش النبيّ ﷺ، والسيوف تحيط به وتنتظره، وهو ثابت النفس، مطمئن القلـب، فهل بعد هـذه الروح المثاليّـة الفدائيّة شجاعة تفوق هـذه الشجاعة، التي لولاها لظلّت دعوة محمّد ﷺ محبوسة في جبال مكّة، يحيط بها الأعداء من كلّ جانب؟
- فهذا فتى قريش، بل فتى الإنسانيّة جمعاء، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يضرب أروع المُثُل للتضحية والفداء، فيبيع نفسه لله ويقدّم روحه رخيصة فـداءً لدينه، عندما عزمت قريش على تنفيـذ مؤامرتها الدنيئـة لإغتيال رسـول الله ﷺ، والقضاء عليه وعلى دعوته.

- وحَسْبُ الهجرة أن ترى فيها مشهداً فدائيّاً لشابٍّ من شباب الإسلام، الذين تربّوا على الإيمان والتضحية، وعلى بذل النفس والنفيس لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. ألا وهو عليّ عليه السلام، الذي نام في فراش النبيّ صلى الله عليه وآله فادياً إياه بنفسه، ومؤدّياً عنه الودائع التي عنده للناس، وفي ذلك ما يدلّ على أنّه لا يؤدّي عن النبيّ صلى الله عليه وآله غير عليّ عليه السلام، ولا يملأ فراغ المكان الذي يجلس فيه النبيّ غير عليّ.

كلامه عن الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام:

- التأريخ ظَلَم الإمام الحسن عليه السلام. وأكثر الشباب الذين لم يدرسوا التاريخ بإمعان، نظروا إلى الإمام الحسن عليه السلام نظرة مشوّهة.

- إنّ الإمام الحسن عليه السلام بقعوده وبصلحه في الحقيقة وضع ألغاماً في طريق الحزب الأمويّ، الذي تمّ نسفه بثورة الإمام الحسين عليه السلام المتمّمة.

- صلح الإمام الحسن عليه السلام قد مهّد السبيل لثورة الإمام الحسين عليه السلام، لتبرز إلى الوجود، كأقدس ثورة تجلّى فيها صراع الحقّ ضدّ الباطل، وكأشرف جولة في معركة الخير ضدّ الشرّ.

- فكان للحسن عليه السلام منها دور الصابر، وللحسين عليه السلام دور

الثائر ليتكوّن من الموقفين الخطّة الكاملة، للبلوغ إلى الهدف الواحد، الذي كان من ورائه الفتح المبين.

- وهـذا هو الإمـام الحسن عليه السلام يغتال حياته رئيس عصابة الشـرّ معاوية بالسمّ، وسيّد الشهداء عليه السلام بلا استثناء يعانق الشهادة مع أهل بيته عليهم السلام.

- لقد استطاع الإمام الحسن عليه السلام بحنكته وسياسته الحكيمة أن يفرس في طريق معاويـة كميناً من نفسـه، يثور عليه من حيث لا يشعر.

- فالإمـام الحسـن عليه السلام بصلحه فتح باب الميـدان للحسين عليه السلام، وبثـورة الإمام الحسين عليه السلام قطـف الإمام الحسن عليه السلام ثمرة الصلح. الإمام الحسين عليه السلام إنّما ثار وانتصر وتمّ له الفتح المبين، بفضل الإمام الحسن عليه السلام قبل الثورة المسلّحة، بمعنى أنّ الصلح هو الذي هيّأ الجوّ للحسين عليه السلام كي يثور.

كلامه عن الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام :

- كان النبـيّ محمّد صلى الله عليه وآله يقول أنا مـن حسين عليه السلام فأين أنت أيّها المسلم من الحسين بن علي عليه السلام ؟

- وليس من باب الاتفاق، أن تقترن ذكرى هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله . من مكّـة إلى المدينة،، بذكرى هجرة الإمام الحسين عليه السلام . من

المدينة إلى مكّة. ولئن اختلف مكان الهجرتين، فلن تختلف الغاية والهدف من وراء الهجرتين. يهاجر النبيّ ﷺ خوفاً على رسالته من أبي سفيان وأعوانه. ويهاجر الإمام الحسين عليه السلام من المدينة خوفاً على دعوته قبل أن يصل بها إلى الهدف المنشود من حفيد أبي سفيان. وبين الهجرتين ستّون عاماً.إذاً الهجرتان سلكتا خطّاً واحداً. ومسيرة واحدة. توصلان معاً إلى الله وإلى إعلاء كلمته في الأرض. وتطبيق شريعته في كلّ بقعة حلّت أو تحلّ بها.

- ولا ريب في أنّ هجرة الإمام الحسين عليه السلام هي امتداد لهجرة الأنبياء من قبله من حيث إنّ سيرته امتداد لسيرتهم، ومسؤوليّته امتداد لمسؤوليّاتهم.

كلامه عن ذكرى عاشوراء وإحيائها:

- إنّ هذه الدموع يجب أن تكون ثورة على الظلم والظالمين.
- إنّ نصرتكم للحسين عليه السلام اليوم، تتمثّل اليوم حيث تأخذون من هذه الذكرى ما يوثّق صلتكم بالله ويعمّقها، ويعمّق ارتباطكم بمعارك الحقّ لكي تصونوا الحقّ كلّما عصفت به عواصف الباطل.
- وأن يجنّدوا من هذه الذكرى، روحاً حسينيّة تقودهم في محنة فلسطين، وتخوض بهم في ساحات معارك الشرف.

التي خاضها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، لأنّه يجب على المسلمين أن يكون لهم في كلّ قطر مسلم حسينٌ جديد إذا تعرّض ذلك القطر لكربلاء جديدة.

- إذاً، يجب أن نحافظ على هذه الذكرى، وأن نترسّم خطاها، وأن نأخذ من معطياتها الدروس والعبر، وأن نجنّد نفوسنا لنصرة الحقّ كما جنّد الإمام الحسين عليه السلام نفسه.

- نحن في هذا الزمان، مدعوّون لأن نكون من جند الحقّ. وما هذه المجالس إلاّ محاولة من المحاولات، لأن نجنّد منها روحاً حسينيّة تقودنا في محنتنا، وفي ساحات معارك الشرف، التي يقف فيها الحقّ في وجه الباطل. فإذاً نحن نستطيع الآن أن نكون جنوداً للحسين عليه السلام بالمحافظة على ما بذل الإمام الحسين عليه السلام دمه في سبيله.

- والله إنّ مجلسكم هذا، إن أخذتم من معطياته، كنتم أسعد الناس. منذ أثني عشر عاماً، نقيم هذه الذكرى، ونريد من وراء ذلك، أن تُستغَل الإستغلال الحسن. أتعرفون أنّه في بيروت، يقام للحسين عليه السلام مئة وثمانية عشر مجلساً؟ هذا كله تأسّس ولله الحمد، ببركة هذا المجلس الذي تجلسون فيه.

- بعض الشباب البعيدين عن الدين، وعن سيرة الإمام الحسين عليه السلام، وما أكثر هؤلاء، ينكرون علينا حتى الآن، إقامة

عاشوراء، ويسألون ما الغاية منها وما الغرض من النحيب؟.

نحن لا نستقبل عاشوراء بالبكاء وبالنحيب، وليس هذا هو الهدف، فالإمام الحسين عليه السلام نفسه يبرأ من الدموع إذا لم تترجم عمليّاً إلى الإقتداء به وبسيرته. من أين يتصوّر هؤلاء الجهلة أنّا نقيم عاشوراء لنبكي؟ هل لأنّهم سمعوا أنّ من نزل من عينه دمع مثل جناح الذبابة غَفَر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر؟.

- فهذه المجالس، على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وقوله الصدق، ستنتشر وترتفع، وأنتم مأجورون بمحافظتكم عليها وحضوركم، ولكن بشرط أن تتخذوا من سيرة الإمام الحسين عليه السلام عنواناً لحياتكم. إنّ الإمام الحسين عليه السلام يعيش في ضمير كلّ إنسان؛ لأنّ الظلم محيط بالناس من كلّ جانب، وإذا ذُكر الظلم تذكّرنا المظلومين، والإمام الحسين عليه السلام هو إمام المظلومين. ولكنّه ما سَكَت عن الظلم.

- إنّ يوم الإمام الحسين عليه السلام لا يُنسى، وأنا إن كنت توفّقت، فأحمده سبحانه على هذا التوفيق، حيث أتيت بهذا الشيخ[1]، فطوّر المجالس حسبما تتطلّبه الظروف والعصور. إنّ هذا مضمون الحديث الشريف الذي كشفت عنه الأيّام، وحكمت بصدقه، حيث أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله ابنته

(١) المقصود به الشيخ عبد الوهاب الكاشي، حيث أتى به من العراق.

فاطمة عليها السلام بأنّ الله جاعل لولدها من يقيم عزاءه عاماً بعد عام وجيلاً بعد جيل.

كلامه عن الروح الحسينية عند الشباب في مواجهة الأعداء وقضيّة مقاومة العدوّ:

- ولئن استشهد الإمام الحسين عليه السلام في ميدان المعركة يوم كربلا، فإنّ هذا الإستشهاد من أقوى الدعائم لإنتصار الحقّ، لأنّ المغلوب بالباطل غالب بالحقّ ودولة الباطل ساعة، ودولة الحقّ إلى قيام الساعة.

- إن ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، أيها المؤمنون، يجب أن تظلّ مثلاً يحتذى، ودرساً يردده الزمان، فتتلقّنه الناشئة في البيوت، ويتدارسه الطلّاب في المدارس، ويتذاكره الشعب في الندوات، ويتدرّب عليه الشباب في المعسكرات، وبذلك يصلون إلى أهدافهم في الحياة. وفي ذلك وفاء للدين وأداء للواجب، ورعاية للأمانة الملقاة على عاتقهم، وتلبية لنداء الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء.

- فخليق بنا، ونحن نعيش اليوم ذكرى الهجرة، ونخوض معركة المصير ضد أعداء الله والإنسانيّة، أن يهاجر كلّ منّا إلى نفسه ويسألها ماذا قدّمت لخوض هذه المعركة؟ وبماذا ضحّت في سبيلها؟ علينا أن نأخذ من معطيات هذه الذكرى،

ما ينفعنا في حياتنا الحاضرة. والجدير بالمسلمين اليوم، أن يمثّلوا الدور نفسه الذي مثّله أولئك، بالفناء في ذات الحقّ الذي ترجموه إلى أعمال قائمة على الوفاء لدين الله، وأن تعيش تلك المبادئ والقيم في نفوسهم وأفكارهم، ولا سيّما وهم يخوضون معركة المصير ضدّ أعداء الله والإنسانيّة. فأيّ فائدة لذكرى الهجرة، إذا لم تفجّر في النفوس مكامن الخير، ومطاوي العزّة والرجولة؟

- لقد كانت القراءة قبل أن نتعرّف على الخطيب الشيخ عبد الوهّاب الكاشي، بسيطة لا تمثّل الغرض الذي يريده الإمام الحسين عليه السلام، كانت صرف نحيب وبكاء. والإمام الحسين عليه السلام نفسه يبرأ من الدموع، إذا لم تكن سخطاً ونقمة على الظلم والظالمين، أو إذا لم تكن تعبيراً عن الحقّ، والعمل بالحقّ، تبدأ بنفسك أوّلاً، ثمّ ببيتكَ ثانياً، ثمّ بمجتمعك ثالثاً.
- نستعيد في أفكارنا ذكرى عاشوراء، فنأخذ من معطياتها، وما أكثرها! إذا اقتصرنا على أخذ العبرة وعلى البكاء أثناء إقامة ذكرى مصيبة كربلاء، فلا يكون في ذلك إحياء لأمرهم، إلاّ إذا تفجّرت تلك الدموع حُمماً على الظلم والظالمين، وإلاّ إذا كانت تعبيراً عمليّاً، وترجمةً عمليّة.
- ليس من الضروريّ أن يبقى المؤمنون المنتصرون على قيد الحياة. إنّهم يريدون من معركتهم مع خصومهم، أن تنتصر

كلمة الحقّ ولو على حساب أرواحهم ودمائهم.

- لقد كان مجتمعاً مريضاً، يباع بالمال الزهيد، ولم يكن إيقاظ الـروح النضاليّـة فيه، إلاّ بعمـل استشهاديّ فاجـع. وهذا ما دفع الإمام الحسيـن عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن يقدم على عمليّة الإستشهاد. وبذلك نستطيع القول بأنّ فاجعة كربلاء، قد أيقظت الضمير الإسلامـي وانفعـل بهـا إنفعـالاً عميقـاً، تحطّم معـه الإطار الدينـيّ المزيّـف، الـذي كان يتستر بـه الحكم الأمـويّ؛ لأنّ الغرض الأقصى لأهـل البيت، ليس إلاّ الحفاظ على الإسلام كعقيدة ونظام.

- هذه المجالـس، أيّها المؤمنـون، موسم وفرصـة، لا تَدعوها تمرّ مـرّ السحاب، وكلّ سنة تجتمعون وتتزوّدون، ولكن مع كلّ الأسف، أستطيـع أن أقول، أخشى أن يذهب أثر هذه الذكرى مـن نفوسكم، بعد مضـيّ العشرة الأيّام من محـرّم... فلتبقَ هذه الذكرى في نفوسكم، لتواصلوا المسيرة على نهج الإمام الحسيـن عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنّنا نحن مدعوُّون إلـى الصمود، فعلينا أن نتابع المسيرة، ولا نلوّث شرف هذا الطريق. طريق ملؤُه الحقّ والعدل، ولا حقٌّ ولا عدلَ في سواه.

رفض الإنحرافات الأخلاقية:

- الآن مبدأ يزيد وعقيدة يزيد، تتمثّل في بيوتكم أيّها الموالون

ما هو عمل يزيد المجون.. الخلاعة.. الفسق.. الفجور.. بهذا نريد أن نحيي ما أحياه الإمام الحسين عليه السلام؟ الإمام الحسين عليه السلام يقول مبيّناً الهدف من ثورته «أمّا بعد فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت، فإن تتبعوني وتطيعوا أمري، أهدكم سبل الرشاد والسلام» فلماذا كلّ هذه الانحرافات في مجتمعنا؟ لماذا السفور؟ أين الحجاب والعفّة؟..

في مواجهة سهام الإلحاد:

- تقول الدين رجعي؟ تعال وادرس الدين ثمّ ارمني بالرجعيّة، إنّك إذا درست الدين فلن تستطيع أن تتخلّى عنه. لكنّك ترى أباك يصلّي ويصوم ثمّ يكذب وينحرف والطفل قدوته أبوه، ويأتيني بعض الآباء شاكين لي أبناءهم مدّعين عدم القدرة عليهم، فأقول لواحدهم (أولاً أنظر لنفسك، هل أنت مستقيم؟).

«هذه هي الصلاة. فلا تتصوّر أن يقيمها أحدٌ وهو غافل عن معانيها، وهو يفكّر بحقله أو بشيء آخر. إنّ هذا يكون قد مارس الصلاة بجسمه، أما فكره فلم يشترك بالعبادة، ولم يتطلّع إلى الله. فالعيب في المتديّن لا في الدين... يقولون: الدين جمود. متديّن يعني رجعيّ! رجعيّ لأنّه يصلّي ويصوم؟ لأنّه لا يشرب الخمر؟ لأنّه لا يتعاطى المنكرات؟ لأنّه يؤدّي الحقوق والواجبات؟

لأجل ذلك فهو رجعيّ. لكن من التقدميّ؟ ثمّ هل الدين وُجد لزمن معيّن حتّى يكون فيه ماضٍ وحاضر ومستقبل؟ هل في الحقّ ماضٍ وحاضر ومستقبل»؟.

يقولون إن الدين قيد. هو قيد لأي شيء؟ قيد لحيوانيّتك، حتّى لا تنجرف مع الهوى، وتتملّكك الرغبات. هل هو قيد للإنسانيّة؟ إنّه ما جاء إلاّ ليدعم الإنسانيّة، التي تأبى عليك أن تنجرف مع الهوى.

وفي مقام آخر يقول: ما هي الصلاة يا غافل؟ هل عرفت الصلاة التي تسخر منها ومن أهلها؟ الصلاة وقفة بين يدي الله، الصلاة حركة جسم تطهّر إلى جانب روح متطلّعة إلى الله. هؤلاء الذين مارسوا العبادات مارسوها بأجسامهم لا بأرواحهم. لا تسخر، الذين جاءوا بالصلاة وفرضوها على العباد، هم فوقي وفوقك. أوّل وصايا دعوة الأنبياء، وآخر وصاياهم الصلاة. لماذا؟ لتبقى مشدوداً ومرتبطاً بمصدرك الأوّل، مرتبطاً بمصدر الخير وهو سبحانه وتعالى. ترفعك الصلاة إلى حيث تهبط عليك روحانيّة من السماء. أنت إبن السماء ولست ابن الأرض.

أين الناس من الحسين عليه السلام؟

- السنّة أماتها بنو أميّة فأحياها الإمام الحسين عليه السلام بدمه، والبدعة أحياها بنو أميّة فأماتها الإمام الحسين عليه السلام بتضحيته. والآن اكثركم يحيي ما أحياه بنو أميّة، ويميت ما

أحيـاه الإمام الحسين عليه السلام. يزيد كان يصلّي. أقل التقادير كان ثمّـة مظهـر إسلاميّ في بيت يزيـد، والآن ليس في بيوت أكثركم مظهر إسلاميّ، بهذا نريد أن نجعل أنفسنا مع الإمام الحسين عليه السلام ونقول يا ليتنا كنّا معكم؟.

- نحن نحبّ الإمام الحسين عليه السلام، ولكنّ السلاح الذي نحمله، لم ننصر به الإمام الحسين عليه السلام، وإنّما قتلناه به، لأننا قتلنا به الدين، لأنّنا سكتنا عن الباطل، وهو في بيوتنا.

- أبكي على الإمام الحسين عليه السلام، وولدي في البيت لا يصلّي؟ أَوَينفعني البكاء؟ أبكي على الإمام الحسين عليه السلام وابنتي تخرج سافرة؟ أنت تحارب الإمام الحسين عليه السلام بالسكوت عن هذه المنكرات والجرائم، وهي في بيتك تغذّيها بمالك، بحياتك. أيّها المؤمنون، لا يغرّنّكم الشيطان.



- أيّها الشابّ، أنت الآن تستطيع أن تنصر الإمام الحسين عليه السلام...كلّ من تخلّف عن الدين فقد تخلّف عن الإمام الحسين عليه السلام، وكلّ من اعتنق الفسق والفجور، فهو من حيث يريد أو لا يريد، مع يزيد ومن أعوان يزيد.

- إنّ ذرف الدموع فيه إعزاز للشخص الذي يُبكى عليه، لكن ليس هذا هو الغرض، إذا استعبر الإنسان، وبكى على الإمام الحسين عليه السلام، وكان يسير في خطّ معاكس للحسين عليه السلام،

فأيّ فائدة من تلك الدموع؟ إنّ الإمام الحسين عليه السلام نفسه يبرأ من تلك الدموع.

- المسألة لا تكلّفكم أكثر من أن تحافظوا على دينكم، أن تقول لإبنك صلِّ، أن تقول لإبنتك تستَّري قبل أن تحرقك في الدنيا قبل الآخرة. هذه هي نصرة الإمام الحسين عليه السلام ..

كلامه حول قضيّة الإمام المهديّ عجل الله فرجه:

- ومن هنا يزول الإستغراب، عندما نجد في التاريخ أنّ المهديّ عجل الله فرجه يعلن ثورته، ويجعل شعار ثورته (يا لثارات جدّي الإمام الحسين عليه السلام)؛ ذلك لأنّ ثورة المهدي عجل الله فرجه، هي الفصل الأخير من فصول ثورة الإمام الحسين عليه السلام. لذلك يعلنها في مكّة، ويفجّر الثورة من كربلاء، حيث أُريق دم النبوّة فيها.

- المهمّ أنّ الدين بدأ بمحمّد صلى الله عليه وآله، وسيعود إلى الحياة على يد رجل من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

- إنّ الدين لا يرتفع علمه في الأرض، إلاّ بمحمّد وأهل بيته. فكما أنّ الدين ستعود إليه عزّته على يد مهديّ آل محمّد عجل الله فرجه...

- إنّ مهديّ آل محمّد عجل الله فرجه يستطيع أن يعيد للحقّ عزّته وكرامته، بعد أن تمتلئ الأرض بالجور.



الدعوة للجهاد وتعبئة الروح الجهاديّة:

- فالإمام الحسين عليه السلام أعطانا صورة عظيمة عن الحقّ، فضحّى في سبيل الحقّ، والحقّ بعده أمانة في أيدينا؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام ما ثار إلاّ ليقدّم للأجيال المثل الخالد، في التضحية والفداء، وليفهم الأجيال المتعاقبة، أنّ الأمّة التي تكتب تاريخها بالدم، لن تقهر ولن تزول من الوجود، ما دامت هذه الأمّة تعطي الموت، ما يشاء من الشهداء، وما دامت تقف من الموت، موقف الصمود والكبرياء.

- إنّ رأس مال هذه التجارة مع الله، هو الجهاد في سبيله بالمال والنفس، والتجارة مع الله لن تبور ولن تخسر، فالله ما ندبك للتجارة معه إلاّ لتربح عليه، لا ليربح عليك. هو غنّي لا يريد ربحاً فالتجارة معه ربحها مضمون.



- أكثر الشباب قد يظنّون أنّ الإمام الحسين عليه السلام مغلوب، أنّ الإمام الحسين عليه السلام مهزوم، أنّ الإمام الحسين عليه السلام انكسر في المعركة، إنّ أوّل شيء يجب أن يفهمه الشباب هو **أنّ المغلوب بالباطل غالب بالحقّ**. والشيء الآخر، إذا أنت قلت، أو الإمام الحسين عليه السلام قال: إنّي أنا المنتصر، فهل تتجاوز الحقيقة؟.

- الإمام الحسين عليه السلام لمّا قال يوم العاشر: هل من ناصر؟ هل كان يخاطب أهل النصرة من جيش عمر بن سعد، وهو

يعلم أنه جاء ليقتله؟ هل كان يقول للقوم (تعالوا وخلّصوني) وهو يراهم وقد امتدت إليه سيوفهم. إنّه حين ألقى تلك الكلمة كان يخاطب بها الأجيال، كأنّه يقول لهم إنّي أنا فتحت لكم الباب إلى الإنتصار، فهل من ناصر للدين؟

- ولذا سيتحمّل أهل الحقّ كلّ مسؤوليّة مهما كلّفتهم، ولا تدخل العواقب في حسابهم، ولا يبتغون من وراء دفاعهم ونضالهم، أن ينتصروا في الحياة، أو أن يعيشوا بسعادة وهناء، وإنّما أكبر همّهم أن تنتصر كلمة الحقّ، ولو على حساب أرواحهم. وطيّبات الحياة التي يلتمسها الآخرون، بعيدة كلّ البعد عن أخلاقهم.

- على هذا الأساس، قامت معارك الحقّ ضدّ الباطل. وحمل المؤمنون فيها لواء الحقّ منذ القِدم، ملطّخاً بدم الشهادة، ليقدّموا للأجيال المثل الخالد في التضحية والفداء، ليفهموا الأجيال المتعاقبة، أنّ الأمّة التي تكتب تاريخها بالدم، لا يمكن أن تُقهر، ولا يمكن أن تزول من الوجود، ما دامت تعطي الموت ما يشاء من الشهداء، وما دامت تقف من الموت موقف الصمود والكبرياء. والحقّ بعدُ في أيديهم أمانة، ومن حقّ الأمانة الإحتفاظ بها، ولو على حساب المهج والأرواح.

- فالذي يجب أن نجنيه من إحيائنا لذكرى الإمام الحسين عليه السلام، في كلّ مناسبة، هو أن نتّصل به عبر الفاصل

الزمنـيّ، اتصالاً عقائديّاً لا عاطفيّاً، بمعنى أن يتحوّل الإمام الحسين عليه السلام في قلوبنا وعقولنـا، إلى قوّة عمل تدفعنا إلى تجديد صلتنا بالله، صلة خالصة من كلّ شائبة، وتدفعنا إلى التضحيـة على كلّ صعيد، من أجل الحقّ والعدل، لنكون أهلاً للنصـر من عند الله، كما قـال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ﴾[1].

- إذاً نحن بعد هذه المحنة، وبعد هذه الأيّام السوداء، علينا أن نستعيـد حقّنا، علينا أن نعيد للدّيـن هيبته في أجواء الحياة، علينـا أن نستـردّ من الحـقّ ما فـات. لأنّنا نحـن ورثة حملة اللواء، نحن ورثة المؤمنين الأوّلين، نحن أتباع سادات الأوّلين والآخرين، لا أتباع من عافهم الدهر ولفظتهم الأيّام...

كلام له في الثورة الإسلاميّة المظفّرة في إيران الإسلام والتي كانت ما زالت في بداياتها، قال:

- أيّها الإخوان، هذا اليوم هو الأخير، وأسأل الله أن يعيد علينا هذه الذكـرى، والإسلام قد بلغ العـزّة والمنعة، ببركة الثورة الإيرانيّـة، إن شاء الله، بقيادة الإمـام الخمينيّ قدس سره، نسأل الله سبحانـه وتعالى، أن ينصره بنصره. ولا شكّ بأنّ النصر لا يكون إلاّ من عند الله. ولكنّ الله يريد منّا قبل أن ينصرنا،

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.

أن ننصره وأن ننصر دينه.

- وقال مخاطباً أحد الأشخاص الذي اشتكى إليه على أولاده: «**إذا أردت أن تنجو وينجو أولادك فليتبعوا نهج الإمام الخمينيّ بدل التلهي بالأحزاب اليساريّة**» أي ادفع بهم نحو خطّ الإمام حتّى الاستشهاد.

٣ـ الاهتمام بجيل الشباب:

لقد كان الشيخ حسين معتوق قدّس سرّه يُولي اهتماماً كبيراً بعنصر الشباب، كونهم الشريحة الأكثر فعاليّة وحركيّة في المجتمع؛ ولذا فقد كان يخصّص جلسات أسبوعيّة مع الشباب للإطّلاع على حاجاتهم ومشاكلهم، خاصّة وأنّهم كانوا عرضة للانحراف بسبب الهجمة الماركسيّة واليساريّة في ذلك الوقت، حيث الإغراءات والمفاسد، وسيطرة الأحزاب العلمانيّة. ما حدا بالشيخ أن يكون دائماً بمواجهتهم، وهذا ما جعله في أكثر الأحيان يخصّص أوقاتاً كبيرة لتفنيد مزاعم الشيوعيّين والعلمانيّين، ومن ناحية أخرى توعية الشباب من هذه المفاسد.

- ففي حديث له عن دور المعلّم وأثره على الشباب والمجتمع: «**هذا إذا كان المعلّم غيرمستقيم وإذا كان شيوعيّاً فإنّه يتجاوز كلّ القيم لنشر أفكاره، لقد نُقل إليّ أنّ أحدهم يأتي إلى التلميذ ويَعِدُه بترفيعه في الإمتحان إذا صار شيوعيّاً**».

وفي مجال آخر قال: «إنّني أقول لكم الآن، إنّ القريب العاجل سوف يكشف لكم عن حقيقة هذه الأحزاب، وحينئذٍ ستعيشون نقطة تحوّل، قهراً عنكم، شئتم أم أبيتم».

وفي خطاب مباشر للشباب في مسجد الغبيري يقول: «أيّها الشابّ: سوف تلمس الأمر بيديك غداً، وتقول: آخ، يا ليتني! وتعضّ يديك. وحينئذٍ تعي من هو رجل الدين. رجل الدين هل يريد منك «طحنة»؟ هل يريد منك أن تمشي وراءه؟ هل يطلب منك غاية؟.. يقول إمامك (صديقك من صدقك لا من صدّقك). من قال عنك أعوج، فقل هذا يُتتبّع، ويريد الخير لي. أمّا من قال لك أنت خير الناس في حين أنت فاسد، فهذا كذّاب يريد اصطيادك».

ومن توجيهاته: «لقد جاء الإنحراف اليوم، ودخل البيوت، بإسم الثقافة، بإسم الحضارة، وهي حضارة ماديّة، ولكن أين أصبح الإنسان في ظلّ هذه الحضارة؟ هل حفظت لك هذه الحضارة أمنك واستقرارك أيّها المسكين؟

إنّ ما نشهده اليوم من إنعدام الأمن والإستقرار، ما هو إلاّ نتيجة لما جاءتنا به الحضارة الغربيّة، وهي فوق ذلك، ما جاءت إلاّ لتقضي على دينك، وعلى ارتباطك بالله، لأنّك ما دمت مرتبطاً بالله فلن يقووا عليك. هم أضعف ما يكونون في جنب الله.

لقد غزوك فكرياً أوّلاً، ثمّ غزوك اقتصادياً، ثمّ غزوك استعمارياً، وأخيراً أخذوك من بين أيدينا، وانتشلوك من أحضان أبيك وأمّك.



لقد فصلك الإستعمار الفكريّ قبل كلّ شيء عن دينك، وهذا هو منهج الدراسات الذي يرافق الولد منذ حداثته، خير دليل على ذلك.

إنّنا نقول لك أيّها المخدوع: إذا حصلت على دنياً من ورائهم، فلا كلام، ولكنك تصبح خالي اليدين من دنيا ومن آخرة، ويستمرّون في الضحك عليك وخداعك إلى آخر الأمر.

بإسم الثقافة، بإسم المدنيّة، مع الأسف، والتاريخ أمامنا، والتاريخ كفيل بأن يسجّل للإنسان كلّ ما يعمله في حياته. ونحن وإيّاكم على الطريق، ولكن يا إخوان، نصيحة من شخص لا يحمل حقداً على أحد ولا يريد إلاّ الخير للجميع، لأني بلغت سنّاً ودوراً لا أرجو فيه إلا الله، ولا أخاف إلا الله».

وفي حديث أبويّ للناس بعد مقتل عدّة عناصر مع الأحزاب اليساريّة قال: «نحن لا نريد أن نخسركم، والله حتى الحزبيُّون الذين ذهبوا وقُتلوا نحن خسرناهم. نحن لا نتنكّر للشخص بمجرّد أن يذهب ويصير حزبيّاً، نحن نبقى معه إلى آخر الطريق، طمعاً بعودته إلينا؛ لأنّنا نحن منه وهو منّا. لا تجعلوا منّا أعداء لكم. نحن أعداء الأعمال الشاذّة، لكنّ قلوبنا محترقة عليكم» وقال: «الآن أنت عندما تمشي وراء واحد من هؤلاء الذين تزعّموا الشارع اليوم، أنظر ما هي غايته، هل صحيح أنه طالب حقّ؟ هل صحيح أنّ قلبه محروق على الشعب كما يدّعي؟ نحن نطالبكم بأن



يكون لكم الوعي الكافي فتحاسبوا، ولا تنحرفوا وتنجرفوا وراء عواطفكم، فكّروا قبل أن تنقلوا أقدامكم».

٤- دوره في أحداث لبنان المؤلمة ومكافحة الإلحاد

فقد انطلقت شرارة الحرب الأهليّة في لبنان في نيسان ١٩٧٥م، وصار الشباب وَقوداً لأتون هذه الحرب التي حصدت الآلاف منهم، لكنّ الشيخ حسين معتوق قدس سره وببصيرته النافذة، قامَ بحملةٍ عنيفة ضدّ الأحزاب التي كانت تسوق الشباب إلى الحرب بلا هدف.

- كما وإنّه كان يؤلمه أن تتحوّل قرى جبل عامل، في فترة من الزمن وهي الأرض التي حملت أمانة الرسالة قروناً عديدة، إلى مسرح لهذه الأحزاب المُلحدة، بحيث أصبح للناس آلهة مبتدعة تُعبد من دون الله.



فقد كان دائماً يقول للناس إنّ العدوّ الأوّل للبنان وللمسلمين هو (إسرائيل) وكان يؤكّد دائماً على أنّ قتال (إسرائيل) واجب على جميع المسلمين وكافّة اللبنانيّين، لأنّها العدوّ الحقيقيّ والعدوّ الوجوديّ للبنان ككيان وللمسلمين كأمّة.

وفي نقاشه مع الأحزاب كان دائماً يطلب منهم العودة إلى الأصالة والى القيم الإنسانيّة وإلى تعاليم الدين الحنيف، ففي حفل تأبين المغفور له الحاج عليّ مشيمش في كفرصير في أيّار ١٩٧٢م، وأثناء وجود ممثّلين عن قيادات الأحزاب دعا أهل الأحزاب إلى العودة إلى

الإسلام وترك ما اعتنقوه من مبادئ غريبة، وأن يكفّوا عن التضليل والإدّعاء بأنّ مبادئهم تسير جنباً إلى جنب مع الإسلام، فالإسلام نظام متكامل لا يحتاج إلى مُتمّمات. وممّا قاله: **«إنّ هذه المبادئ الغريبة لا تَعدو كونها تراقيع، وثوب الإسلام لا يقبل الترقيع»**.

وفي موقف آخر، في حزيران ١٩٧٦م، في بلدة صير الغربيّة، وأثناء ذكرى أسبوع أحد المقاتلين الذين سقطوا في معارك بيروت، وقد تنافست الأحزاب في حشد كلّ ما لديها من قوّة في تلك البلدة، وعلى رأسهم قادتهم، للاشتراك في هذه المناسبة، يومها وقفَ قائلاً: **«إنّ الثورة الحقيقيّة لا يمكن أن تُستمدّ إلاّ من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ولقد غَدونا بهذا التراث العظيم، ولا نحتاج لمن يرشدنا إلى المواقف الثوريّة»**.

وبالرغم من شدّة ألمهِ لانحراف الشباب وسلوكهم في كلّ مسلك، كان لا ييأس من هدايتهم وعودتهم إلى الطريق المستقيم، ولهذا فقد كان يخاطبهم بلسان الأب الرؤوف الذي يمتلئ غيرةً على أولاده، وإنّ نظرةً سريعة إلى خُطبه ومقالاته تؤكّد هذا المنهج، وبالفعل فقد كان له الأثر الكبير في تراجع عدد كبير من الشباب عن معتقداتهم الزائفة.

وقد صرّح في بعض خطبه قائلاً: **«نحيي ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ثمّ إذا ذهبت عشرة محرم، إذا بنا نرجع إلى سيرتنا الأولى، ونرجع إلى محاربة المجالس، ومحاربة هذه الذكرى؟ لا أريد أن**

أسمّي الأشخاص، ولا أريد أن أصارح، ولا أريد أن أتخذ من الكلام سلاحاً. قد يضطرّني الموقف لأن أستعمل غير الكلام لكلّ من يقف في طريق هذه الذكرى ويحاربها. والذين أعنيهم يسمعون، إنّما أعني أشخاصاً مخصوصين قد يأتي اليوم الذي أصرّح فيه بأسمائهم» وكان بذلك يعني بعض الحزبيّين العلمانيّين الذين كانوا يتطاولون على الدين ويطالبون بإلغاء المجالس العاشورائيّة.

٥-شخصيّته وكفاءاته

ينقل جميع من عايش الشيخ حسين معتوق قدس سره، الكثير من الصفات الإنسانيّة والقياديّة والروحيّة الأبويّة، فهو كان:

أ- يتمتّع بقوّة الشخصيّة ونفوذها.

ب - الحساسيّة والشعور المُرهف، وشفافيّة النفس، والذوق الذي يَزنُ به كلّ ما يجري حوله.

ج - التواضع الذي كان فيه طَبعاً لا تَطبّعاً، إذ كان أشدّ ما يُنفّره تلك الهالة التي يحيط بها البعض نفسه، وكان يكره الألقاب وخاصة المطوّلة فيها.

د - الأريحيّة والروح الأدبيّة، وكان يمتاز بشاعريّة مرموقة، ويتذوّق طرائف الشعر والأدب، بحيث كانت مجالسه تتحوّل بعض الأحيان إلى ندوات أدبيّة، فضلاً عن كونها جلسات مذاكرة علميّة وفكريّة.

هـ- الذاكرة القويّة التي أودع فيها من الطرائف والحوادث

التأريخيّة ما يكفي للتعليق على كلّ كبيرة وصغيرة يراها أو يسمعها، فتراه يذكر لكلّ مناسبة نكتة أو طريفة تلائمها بحيث لا يملّ السامع من مجلسه وأحاديثه، ولقد كان يحيط إحاطة تامّة بتأريخ جبل عامل وكثير من أحداثه التي لم تجد الطريق إلى النشر في الكتب، وذلك من خلال ما يحفظه نقلاً عن الجيل الذي سبقه. وهذه الخاصّة جعلته يتميّز بفكر موسوعيّ بحيث غدا دائرة معارف حيّة.

و - التشدّد والاحتياط في الأمور التي تستدعي ذلك وخاصّة عند الشبهات.

ز - الجرأة في قول الحقّ من غير اكتراث بالعواقب ومهما كان الباطل في مقابله قويّاً.

ح - عزّة النفس وكبرها، فلم يَنحنِ لمخلوق في أكثر الأيّام تعاسةً، حتّى لتَخَاله الجبل الأشمّ،أنفةً وشموخاً.

ط - الذكاء وحضور البديهة، وهذه الصفة كانت تظهر واضحة في جَلَسات الجدل حول القضايا الفكريّة والعقائديّة، وكان يتميّز بخاصة استدراج الخصم، حيث يُلقي عليه بعض الأسئلة التي تجرّه الإجابة عنها إلى الإدلاء بالنتيجة المطلوبة على لسانه، وهو أسلوب كان يشتهر به سقراط في مجادلاته مع السفسطائيّين قديماً، وفي عصر الشيخ كان آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئيّ مشهوراً بهذه الطريقة.



ولا ننسَ أبداً شغفه وتعلّقه وولاءَه الشديد لأهل البيت عليهم السلام، ولقد كانت له نظرة خاصّة إلى كفاح أمير المؤمنين عليه السلام، بحيث كان دائماً يتألّم للصبر الذي كان الأمير عليه السلام مأموراً به، ولربّما هذا الموقف منه يلتقي مع موقف آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره الذي كان دائماً يتحدّث عنه، وهو أنّ السيّد الحكيم بالرغم من تأثّره البالغ بمصيبة كربلاء، كان يبدو منه التأثّر بشكل أبلغ في ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان، وهي ليلة استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فقد دَخَل عليه مرّة في تلك الليلة، ووجده يبكي بكاءً مُرّاً، فتساءل عن سرّ ذلك التأثّر البليغ مع أنّ مصيبةَ كربلاء أمرُّ وأدهى؟! فأجابه السيّد الحكيم: إنّ أهلَ الطفّ قوم زُفّوا إلى مصارعهم في موكب أشبه بمواكب الأعراس، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد ظلّ يعاني صبراً أمرَّ من الموت طوال ثلاثين عاماً.



- يقول عنه المرحوم الشيخ بدر الدين الصايغ: «**إنّ الشيخ حسين معتوق كان مثالاً للعلم والتقوى والإيمان، فهو استطاع بالرغم من شدّة فقره أن يبهرَ أقرانه بالبحث والدرس والمذاكرة، وهو علامة فارقة بين كلّ أقرانه..**»

- يقول عنه المرحوم الشيخ حسن محمّد العسيلي: «**المرحوم الشيخ حسين معتوق كان نواة الخير لكثير من المؤسّسات الخيريّة..**»

- ويقول عنه المرحوم السيّد محمّد عليّ إبراهيم: «**الشيخ حسين**

معتوق وبالرغم من فقره، فقد كان يَهبُّ لمساعدة الطَلَبة في النجف الأشرف.. بما لديه من إمكانيّات واستطاعة...».

- ونقل الحاجّ أبو أديب الصايغ من بلدة القصيبة: «أنّ سماحة الشيخ حسين معتوق كان له ذوق خاصّ بالشعر، وكانا ينظمان الشعر سويّاً، وقال بأنّ الشيخ كان لديه شجاعة وجرأة قلّ نظيرهما في ذلك الوقت، فهو كان يواجه الأحزاب المُلحدة ولا يخاف في الله لومة لائم».

الروح الجهاديّة والدعوة للمقاومة

يقول ﴿﴾ «فما على المسلمين في هذا الجوّ المشحون بالغيوم، إلاّ أن يستعيدوا إلى أذهانهم، صورة حيّة من صور هذه الذكرى، ويستفيدوا من معطياتها، لخوض المعركة مع العدوّ الذي اعتدى على مقدّساتنا، واستلب منّا حريّتنا وكرامتنا. علينا أن نخوضها معركةً فاصلة بالعرق والدم والسلاح، مع العدوّ الغادر الذي لا يعرف السلام القائم على العدل، والحريّة والمساواة. والمسلمون اليوم، يطالبهم دينهم في شتّى بقاع الأرض أن يكونوا أقوياء، وأن يحاربوا مواضع الضعف من نفوسهم، حتى لا يهنوا ولا يستسلموا ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾»[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

٦- آثاره

بالرغم ممّا كان يمتاز به الشيخ حسين معتوق من الدرجة العلميّة العالية، وسِعَة الإطّلاع وشموليّة الفكر، ومتانة القلم والأسلوب، فإنّ مشاغله ومسؤوليّاته واهتماماته الكثيرة التي كان ينوء بحملها، لم تترك له فرصة التأليف والنشر.

ويوجد بين كتاباته الكثير من الكتابات المتفرّقة تصلح للفرز والنشر في كتب ينفرد كلّ منها بالموضوع الذي يخصّه.

ومن آثاره:

- العديد من الخُطب الحسينيّة وهي خُطب توجيهيّة تمتاز بالوعظ والدعوة إلى الالتزام بنهج أهل البيت عليهم السلام.

- مجموعة من المقالات والخطب العامّة التي يكثر فيها التحليل حول العبادات.



- كتابات متعدّدة في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وفي تحليل مشكلة الخلافة.

- كتابات وخُطب في المناسبات المهمَّة.

- كتابات في تفسير سورة الفاتحة.

- كتابات يتناول فيها بعض المفاهيم الإسلاميّة.

أمّـا أثناء دراسته في النجف الأشرف، فـإنّ للشيخ حسين معتوق تقريرات فقهيّة وأصوليّة، وقد نُشر جزء منها، وهي:

- كتـاب: المرجعيّـة الدينيّـة العليا عند الشـيعة الإماميّة:

وهـو عبـارة عـن رسالة قيّمة تقـع في ستيـن صفحـة، يتعرّض فيها بالشرح والتحليل لمنصب المرجعيّـة وظروفه وكيفيّة تصدّره وحمل مسؤوليّاتـه. وهـذه الرسالـة كانـت ذات تأثيـر كبير من حيـث إنّها قضـت على الأميّة الملحوظة لدى النـاس آنذاك فيما يعود إلى معرفة خصائـص منصـب المرجعيّـة، وقد تـمّ طبعها عـام ١٩٧٠م، وهو العـام الذي كانت فيه خسارة العالم الإسلاميّ المرجع الأعلى السيّد محسن الحكيم قدس سره.

- كتاب: منهج الدعوات في أعمال شـهر رمضان المبارك من الأدعيـة والصلوات: وقد تمّ في هذا الكتاب جمع كافّة أعمال شهر رمضان المبارك من أدعية وصلوات وزيارات.

الإنتاج الشعريّ:

- احتفظـت مجلّـدات مجلّـة العرفان بعـدة قصائد مـن شعره، وكذلك «مستدركات أعيان الشيعة».

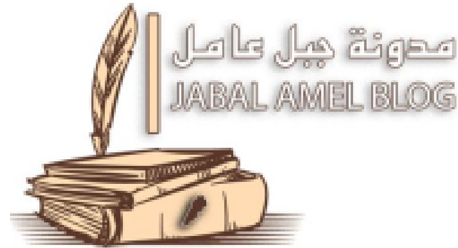
ويـدور شعـره القليل - الذي وصـل إلينا - حـول محورين: مديح آل البيـت، والغـزل، فـي عبارته عذوبـة، وفـي قوافيه شَجَـن، وفي إيقاعاتـه تدفّق يجسّـده غزله بصفة خاصة، علـى أنّ للوطنية مكانًا

في منظوماته. شعره من الموزون المقفّى على الرغم من معاصرته للتمـرّد على الشكل التراثيّ للقصيدة في العراق ولبنان - حيث عاش - خاصّة.

عناوين القصائد:

- هيهات السلوّ.
- أكلّف نفسي.
- يا أيُّها الوطن المحبوب.
- الشاعر الفذّ.





هيهات السلوّ.

أمِنَ العدلِ أنّهم يومَ بانُوا　　أيقَظوا جفنيَ القريحَ وناموا
روّعوني وما رعَوْا لي ذِماماً　　في نواهُم وللمحبِّ ذِمام
تَركوا مُهجَتي تذوبُ وقلبي　　مِلؤهُ لوعةٌ بهم وغرام
لا عليهمْ فهم هنا بفؤادي　　حيثُ كانوا ترحّلَوا أم أقامُوا
وحَّدَ الحبُّ بيننا فغدوْنا　　روحَ حبٍّ تَضمُّها أجسام
لا نُبالي بما جنتْهُ الليالي　　وأتتْ فيه بيننا الأيّام
وإذا صحَّ في النفوسِ ودِادٌ　　فسواءٌ تَرحُّلٌ ومقام
وإذا خالطَ الودِادَ رياءٌ　　فَعلى الحبِّ والودِادِ السلام
خسرتْ صفقةُ المحبِّ إذا ما　　لعبَتْ في وفائِهِ الأوهام
تارةً يُحكِمُ الولاءَ وأُخرى　　تفصمُ الودَّ في يديهِ سِهام
يا أحبّائي قد طويْنا عتاباً　　ليس تسطيعُ نشرَهُ الأقلام
وحفظْنا لكم حقوقَ إخاءٍ　　وكذا تَحفَظُ الحقوقَ الكرام

أكلّف نفسي

أكلّفُ نفسي عنكُمُ صبرَ ساعةٍ　　فتأبَى ويأبَى حبُّها وغرامُها
وكيف تطيقُ الصبرَ عنكم وأنتمُ　　لعمركمُ دونَ الأنامِ مَرامُها
محا البينُ منها أسطرَ الصبرِ فاغتدى　　لظىَ وجدِها فيكم يشبُّ ضِرامُها

تهيمُ بكم في كلِ آنٍ ولحظةٍ ويعذبُ فيكم وجدُها وهيامُها
على أيِّ حالٍ أنتمُ غايةٌ لها أُصينَ لديكم أم أُضيعَ ذِمامُها
إذا سكتتْ كنتم قبالةَ فِكْرها وفيكم إذا فاهتْ يطيبُ كلامُها
تناهتْ لكم وِدّاً وفيكم صبابةٌ فهيهات فيكم أنْ يفيدَ مَلامُها
بما بيننا من خِلّةٍ ومودّةٍ تراءَوا لعيني كي يلذَّ منامُها
رعى اللهُ أوقاتَ اللقاءِ فليتَها مدى العمرِ والأيامِ كان دوامُها

يا أيها الوطن المحبوب

هيهاتَ أنْ يتسلّى القلبُ بعدَكمُ والبُعْدُ يقدحُ أزنادَ الأسى فيهِ
إنْ مالَ للصبرِ عنكم لحظةً بعثتْ ذكراكمُ لوعةَ الأشواقِ تُوريه
خطّ الغرامُ لكم فيه سطورَ صفا فأنتمُ حيثُ كنتم في مَجانيه
دروسُ حبٍّ قرأناها على صغرٍ والحبُّ مرآتُه أفكارُ قاريه
إذا سرى نَسَمٌ من نحوكم صعدَتْ أنفاسُ أحشائِنا الحرّى تُحيّيه
يَحلو لنا ذكركُم ما مرَّ ذكرُكمُ فألسنُ الحبِّ لا تنفكُّ ترويه
نَظلُّ فيكم حيارى لا يجفُّ لنا دمعٌ تُرقرقُه الذكرى وتُجريه
عذابُنا فيكمُ عذبٌ يطيبُ لنا فنستلذّ بما فيكم لغانيه
لولا تعلُّلنا في قربكم زمنًا قضى علينا النوى ما بينَ أيديه



يا جيرةَ الحيِّ هل بعدَ الفراقِ لِقاً — يفوزُ كلُّ محبٍّ في أمانيه

نسيتمُ حين كان الحبُّ يجمعُنا — في جانبِ الحيِّ من شرقيِّ واديه

حيث الهزارُ يغنّينا فيطربُنا — بين الأزاهيرِ في أحلى أغانيهِ

وأكؤسُ الراحِ تُجلى بيننا علنًا — في كفِّ أهيفَ يحكيها وتحكيه

ننظِّمُ الشعرَ في أسلاكهِ دُرَراً — تجلو ظلامَ الأسى عنا دَراريه

ما أبدعَ الشعرَ لو ألفاظُهُ عذُبَتْ — وما أُحيلاهُ لو رقَّتْ معانيه!

يدقُّ في القلبِ ناقوسَ السرورِ إذا — ما أتقنتْ صنعَهُ أفكارُ مُنشيه

ما الشعرُ تسطيرَ ألفاظٍ مُعقَّدةٍ — ما أبعدَ الشعرَ عمّن ليس يدريه!

آليتُ أرسلُ أفكاري تنظّمُهُ — إلاّ إلى الوطنِ المحبوبِ أُهْديه

يا موطنًا عاثَ فيه الجورُ فانبعثتْ — هذي الجفونُ بقاني الدمعِ تبكيه

جارت عليه الليالي في تَصرّفها — فأسلمتْهُ إلى أيدي أعاديه

أزهارُ روضاتِهِ مالَ الذُّبولُ بها — حزنًا عليه كما جفّتْ مَجاريه

هل ينفحُ العدلُ فيه نفحةً فعسى — تربو وتهتزُّ بالبشرى مغانيه

يا أيها الوطنُ المحبوبُ نارُ أسىً — عليكَ في القلبِ لاتنفكُّ تُذكيه

الشاعر الفذّ

ما خمرةٌ قد بدت بالكأس صافيةً … ألذّ للمرء من شعرٍ ينضّده

ما نسمةٌ قد سرت بالطيب نافحةً … أرقّ منه لديه حين ينشده

لا يفعل السحرُ بالألباب فعلتَه … يبقي الأديبَ بلا لبٍّ يردّده

والشاعرُ الفذّ مَنْ فاضت قريحتُه … فجاء بالشعر سهلاً لا يعقّده

يكاد يفهمه من ليس يفهمه … حتّى يخال إذا ما شاء يوجده

تكادُ أبياتُه من فرط رقّتها … تقيم قارئها قهراً وتُقعده

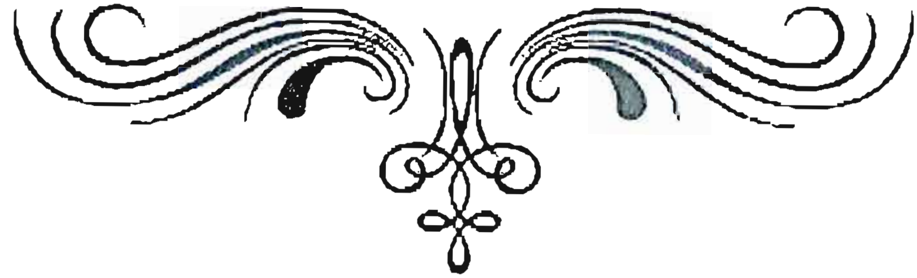




الفصل الثالث



على صعيد دوره الإجتماعيّ





تمهيد

منذ أكثر من قرن نشطت في لبنان حركات أهليّة - غير بريئة-، في ظلّ ظروف وطنيّة بالغة الصعوبة، مع قيام الحروب الداخليّة والصراعات وانتشار الجوع والاستبداد، خصوصاً خلال الحرب العالميّة الأولى.

وقد واصلت الجمعيات دورها في ظلّ الانتداب، ومع الاستقلال تواصلت المسيرة إلى أن جاء عهد فؤاد شهاب حيث عزّز دور الشراكة بين القطاع الأهليّ المزعوم والقطاع العامّ.

ومع نشوء الأزمة اللبنانيّة - أي خلال الحرب الممتدّة ما بين ١٩٧٥: ١٩٩٠ - والتي أدت إلى شلل الحياة العامّة، واجهت الجمعيّات الأهليّة حقائق كبيرة، فانكشف العديد منها وانكفأ، وهي لم تكن مستعدّة لها بشكل كاف، وفي ظلّ تفكّك أوصال الدولة والمجتمع، وضعف النسيج المجتمعيّ وتدهور مستوى المعيشة، وتقلّص الموارد الماليّة وتدمير البنى الاقتصاديّة للحياة المقبولة. كان الدور البارز لبعض المؤسّسات الصغيرة خاصّة في المجتمع الشيعيّ ذي الحرمان المزمن.

هنا انبرى سماحة الشيخ حسين معتوق - في بداية الحرب الأهليّة - بمبادرات فرديّة مع مجموعة من المؤمنين يبلسمون الجراح ويخفّفون عن الناس المعاناة، ويعوّضون لهم بعض ما فاتهم من خدمات صحيّة واجتماعيّة وغيرها.

وأبرز المشكلات الاجتماعيّة في لبنان خلال الحرب تتمثّل بالمستوى المتدنّي للمعيشة، حيث إنّ ثلث السكّان يعيشون دون خطّ الحرمان والفقر، وبمدخول دون مستوى كلفة المعيشة، إضافة إلى فرص العمل المفقودة ممّا يرفع معدّلات البطالة.

ويتميّز لبنان بظاهرة التفاوت الاقتصاديّ والاجتماعيّ الشديد بين المناطق والتي يؤكّد الباحثون أنّ هذه التفاوتات كانت سبباً أساسيّاً من أسباب اشتعال الحرب في لبنان عام ١٩٧٥.

أمّا بخصوص تقلّص دور الدولة فيرى باحثون اجتماعيّون مختصّون أنّ الأمر غير مبالغ به، وذلك بسبب تقاعس أجهزة الدولة عن خدمة المواطنين.

١ - إغاثة الأيتام والفقراء ومساعدتهم:

لقد جعل سماحة الشيخ حسين معتوق مسألة الاهتمام بالأوضاع الاجتماعيّة همّاً يوميّاً، له مساحة كبيرة في حركته اليوميّة، خصوصاً بالنظر إلى ما كانت تعيشه الغالبيّة من الناس، نتيجة الأوضاع الاقتصاديّة العامّة، فضلاً عمّا طرأ من أمور زادت حجم المعاناة،



لتتوسّع دائرة المحتاجين، وبالأخصّ في ظروف الحرب الأهليّة المستعرة إلى ما كان يحصل من آثار الاعتداءات اليوميّة للعدوّ الإسرائيليّ، التي كانت بمؤازرة الفقر والعوز مزعجات تزعج الناس في قراهم وبيوتهم، لتلجئهم إلى الهجرة داخل الوطن وخارجه.

وتتمحور اهتماماته الاجتماعيّة ومواجهته لها على صعيد:

أ- المساعدات الماليّة والعينيّة:

- نقل الحاجّ عليّ صايغ، وهو كان صاحب سيّارة (فيات) ينقل بها الشيخ حسين معتوق من بيروت إلى الجنوب وبالعكس، يقول: كان المقدّس الشيخ حسين معتوق يصرُّ على قضاء حوائج الناس بنفسه، وكان إذا حضر عنده شخص محتاج، كان يجلس معه بشكل منفرد، ويقوم بنفسه ويعطيه ما تيسّر دون أن يعرف أيّ شخص من الحاضرين، وكثيراً ما كان ينقل بنفسه المساعدات العينيّة إلى المحتاجين خاصّة خلال الأحداث، وكان قد تكفّل بتأمين المساعدات لحوالي ٤٠٠ عائلة مستضعفة، فكان يؤمّن لهم رواتب شهرية ومساعدات عينيّة.



لقد اتخَذَ هذا العمل طابعاً خاصّاً بعد الأحداث وتوسّع كثيراً عمّا كان عليه قبلها، بحيث تجاوز عدد العائلات التي كانت تأخذ راتباً شهريّاً مُنتظماً من سماحة الشيخ حسين معتوق لأربعمائة عائلة، هذا فضلاً عن المُساعدات الخاصّة، المساعدات الطبيّة والتي كان من أبرزها دفع تكاليف العمليّات الجراحيّة الضروريّة، والقيام بنفقات

الطبابة والعلاج للكثير من المرضى والجرحى، وخاصّة المُشوَّهين في الحرب، الذين عُولجوا داخل البلاد وخارجها.

ب - المساعدات الطبيّة والصحيّة

مع الإشارة إلى أنّ مشروع مساعدة العائلات الفقيرة ودفع النفقات العلاجيّة لمشوّهي الحرب، خاصّة الذين يحتاجون إلى أطراف اصطناعيّة، بقي صَدَقةً جارية بعد رحيل الشيخ بمدّة غير قصيرة، وذلك بفضل ما كان يرصد من الحقوق الشرعيّة والتي كانت تَرد من أصدقاء الشيخ وتلامذته ومُحبّيه.

ج - تأمين منازل للفقراء

سعى الشيخ حسين معتوق مع مجموعة من المؤمنين، نحو تأمين منازل لائقة لبعض البائسين الفقراء، فكان يصرف من الحقوق الشرعيّة ومن التبرّعات من أجل شراء مساكن وأثاث لبعض الفقراء، الذين سيطر عليهم العوز، ويذكر أحد المواكبين له، أنّ سماحة الشيخ ساهم في شراء أكثر من ٧٠ مسكناً لعوائل مستضعفة فقيرة، وساهم أيضاً في تأثيث أكثر من ٣٠٠ مسكن لمن لا يقدرون على ذلك.

وأمّا بعض العوائل المستضعفة التي كانت غير قادرة على دفع أجور المساكن، فقد كانت تستفيد من مساهمات الشيخ في دفع الأجور وبنسب متفاوتة. وقد استفادت العشرات من العوائل المستضعفة من هذه المساهمات.

د - تكفّل الأيتام

بعد أن اشتعلت نيران الحرب الأهليّة، وحيث ازدادت حركة اليتم في المجتمع، سعى الشيخ حسين معتوق إلى تطويق آثار هذه الظاهرة الاجتماعيّة الصعبة، فكان يقوم بتكفّل الأيتام ومواكبتهم حتّى يصبحوا منتجين، وقد واكب عشرات الأيتام الذين تخرّجوا من الجامعات فيما بعد وأصبحوا من روّاد المجتمع.

٢- المشاركة في بناء المشاريع العاقة:

سَاهم سماحة الشيخ حسين معتوق في إطلاق العشرات من المساجد والنوادي الحسينيّة والمستوصفات والمكتبات العامّة، كما وساهم في مدّ يد العون إلى الكثير من النشاطات الاجتماعيّة والإنسانيّة، وفي هذا السياق نذكرمنها:

الإشراف المباشر على بناء النادي الحسينيّ في بلدة صير الغربيّة في قضاء النبطيّة، وتجديد وتوسيع المسجد فيها.

ضمّ المسجد الجامع في الغبيري إلى النادي الحسينيّ.

المساهمة الفعّالة في التعليم الدينيّ في بيروت والمناطق، حيث كان يعيّن أساتذة لخصوص التعليم الدينيّ في المدارس الرسميّة وبعض المدارس الخاصّة، ويقوم بدفع رواتبهم.

دعم التجمّعات الدراسيّة الدينيّة في لبنان، من خلال دفع الرواتب



لطلّاب العلوم الدينيّـة، وتأمين السكن لهم في بعض الأحيان، كي لا يضطرّوا للهجرة إلى الحوزات العلميّة في الخارج في وقت مبكّر.

حلّ الخصومات والنزاعات

حلّ الخصومات والنزاعات العائليّة والسياسيّة، التي تتّخذ طابع الخطورة في بعض الأحيان، فكم من مرّة تدخّل في الوقت المناسب، ليمنـع حصـول مشاكل خطيرة بيـن أطراف متناحـرة، وكان أحياناً يتورّط لتطويق خلافات بين بعض السياسيّين، نظراً لما يتمتّع به من احتـرام وتقدير عند الجميع، ولما يَنفرد به مـن استقلاليّة وحياديّة عن الأطراف.

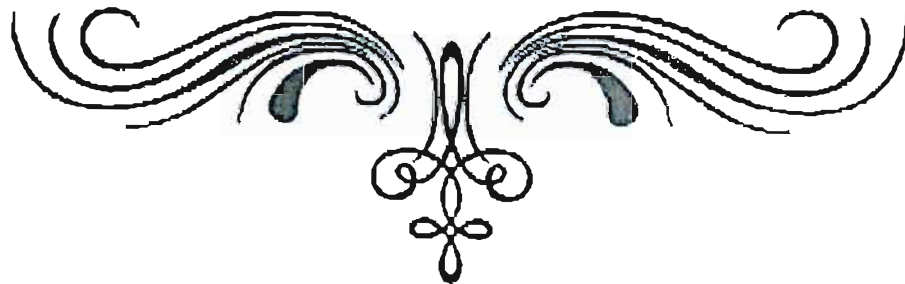
مواجهة الزعامات والأحزاب

مكافحـة تسلّط الزعامات السياسيّة والأحزاب في جنوب لبنان، بحيـث كان يقف بالمرصاد لـكلّ زعيم أو رجل سياسـة يحاول إثارة الفتـن بين النـاس، ويستغـلّ نفـوذَه لمصالحه الشخصيّـة، ويسعى لتهييـج الناس في الانتخابات العامّـة، أو يقوم بأعمال شائنة لا تتّفق مع مبادئ الإسلام الحنيف.

الفصل الرابع



أفول لا يحجب النور



٧- وفاته

لقد شاءَ ألقدر أن يكون في وفاته صورة تحكي حياته، ففي صباح يوم الأحد الواقع في ١٣ صفر ١٤٠١هـ الموافق ٢١ كانون الأوّل ١٩٨٠، غادر الشيخ حسين معتوق الغبيري إلى الجنوب في زيارة معتادة.

وفي ليلة الاثنين كان يتصدّر اجتماعاً في بلدة القصيبة، وكانت الأحاديث والإرشادات تفيض منه على الجالسين بحيث بدا في حالته العاديّة من النشاط والأريحيّة اللذَيْن لم يفقدهما في أواخر عمره، ويقول الحاجّ أبو أديب الصايغ، وهو كان من الحاضرين في هذه السهرة، إنّ الشيخ حسين معتوق في هذه الليلة تحدّث عن عدّة مواضيع، وكان قد خصَّص جزءاً كبيراً عن ذكر الموت، ثمّ قال بعض الأشعار، ثمّ تحدّث بأنّه سيذهب صباح اليوم التالي إلى بيروت، وأنّه يشعر بأنّ هذه السهرة لا بدّ أن تطول أكثر...وفي منتصف الليل توجّه الشيخ حسين معتوق إلى بلدة صير الغربيّة مع الحاجّ عليّ صايغ في سيّارته، وفي الطريق طلب الشيخ من الحاجّ عليّ صايغ أن يمرّ عليه صباحاً من أجل الذهاب إلى بيروت باكراً؛ لأنّ لديه مواعيد مهمَّة، وأصرّ على المبيت منفرداً في بيته في البلدة.



وفي صباح يوم الاثنين حضرَ السائق وأهالي البلدة إلى باب المنزل بعدما استبطأوا خروجه، وطفقوا يطرقون الباب، ولكن طَرقاتِهم ظلَّت تشقّ جدار الصمت بغير جواب: إنّها المرّة الأولى التي يُطرق فيها بابه ولا يفتحه بنفسه، إذ لم يجعل في حياته كلّها فاصلاً بين غرفته والناس.

وحين طال المكث على الباب، وساور الشكّ النفوس، أقدم أهالي البلدة على فتح الباب ودخول غرفة الشيخ، فعثروا عليه نائماً نومته الأبدية على أرض الغرفة..

وإذ ذاك، فقد غلبت الدهشة وعَظُمت الصدمة: مات الشيخ حسين معتوق، مات وحيداً كما عاش في حياته الخاصة، مات في أوجِ عطائه وجهاده، بعد ثمانية وستّين عاماً كانت حافلة بالكفاح والصبر والبذل والجهاد.

وفي صباح يوم الأربعاء ٢٤ كانون الأوّل ١٩٨٠، دُفن الشيخ حسين معتوق في الفسحة التابعة لحسينيّة البلدة..

ما قيل فيه بعد وفاته في ذكرى الأسبوع:

- الشيخ حسين زين الدين:

لَبِستْ عليك حدادَها الأيامُ   فعليكَ منّا يا حسينُ سلامُ

جُرحُ الشريعةِ فيكَ غيرُ مضمّدٍ   جَزَعاً وجرحُ الفضلِ لا يلتام



- **الأستاذ حسن معتوق نجل الفقيد الراحل:**

حاولتُ نظمَ الرثا فاستعصتِ الكَلِمُ — وهل لأهل النُهى بعدَ الحسينِ فمُ؟

ماكنتُ أَحَسبُ يجري في الرثا قلمي — ما حيلتي قد جرى في ذلك القلم

- **آية الله السيد محمد حسين فضل الله** قدس سره:

من الأشخاص الذين نفتقدهم في حياتنا مَن تشعر أنّك تريد أن تنطلق من اسمه لتهرب إلى شيءٍ آخر، ولكن هناك من الأشخاص من يفرض عليك اسمه أن تعيش في عمق ذاته وفي حياته وفي منطلقاته؛ لأنّ حياته تتحرّك في الاتجاه الكبير من حياة الناس، وفي المنطلق الكبير من رسالات الله، من هؤلاء الأشخاص فقيدنا الكبير - المقدّس الشيخ حسين معتوق- الذي نشعر حين افتقدناه، بأنّ هناك فراغاً كبيراً في حياتنا العلميّة وحياتنا العمليّة، لأنه يمثّل ذلك الجيل من علماء الأمّة الذي لم يحاول عندما تحرّك في إطار العلم، أن يأخذ من العلم كلمة هنا يحفظها، وكلمة هناك يحفظها، وحُكماً يستظهره، وإنما كان يريد أن ينطلق بالعلم من أجل أن تستمرّ المسيرة، مسيرة العلماء التي بدأها علماء أهل البيت عليهم السلام من أجل أن يكون لنا في كلّ عصر مجتهدون، ومن أجل أن يكونَ لنا في كلّ عصر علماءُ يعيشون الوعي للشريعة من خلال علمهم الذي يتعمق في فهم الشريعة. إنّه من قلة من العلماء عرفوا أنّ معنى أن يقف الإنسان في موقع المسؤوليّة العلميّة الفقهيّة، أن يعيشَ الإسلامَ فكراً مُمتدّاً متعمّقاً كما يعيشه حياةً وممارسة وسلوكاً؛ لأنّ الإنسان الذي

يَعي الإسلام علماً يستطيع أن يقف أمام أحكام الله، موقف الإنسان الذي يملك وضوح الرؤية، ويعرف كيف يبتدئ حكم الله، وكيف يتحرّك وإلى أين ينتهي.

إنّه من هؤلاء الذين امتدّت بهم مسيرة علمائنا في جبل عامل، وعلمائنا في العراق وعلمائنا في إيران، حتّى استطاعوا أن يغنوا الفقه الإسلاميّ باجتهادهم، وأصبح الفقه الإسلاميّ الإماميّ بوساطة علومهم وجهدهم وثقافتهم يمثّل قمةً في العلوم كلّها.

من خلال الاجتهاد يقف الكثيرون من المشرّعين في العالم ليقولوا إنّ الفقه الإسلاميّ يمكن أن يشكّل أساساً وقاعدة للتشريع في العالم كلّه.

سار الفقيد في هذا الجوّ وعاش هناك في النجف، عاش مع العلماء الكبار على أن يختزن من علومهم الكثير، وعلى أن ينطلق من خلال هذا العلم الغزير من جديد.. لهذا نحن نشعر بالفراغ الكبير؛ لأنّنا نشعر أنّ هذه المسيرة بدأت تقلّ ولا أريد أن أقُول إنّها بدأت تنعدم.. من خلال ذلك نشعر بعمق وسعة هذا الفراغ.

ثمّ تنطلق معه وأنت تعيش معه في حياته.. تنطلق معه لتشعر بالخُلُق الطيّب الذي يحتويك حتى لو كنت تختلف معه أو يختلف معك، كان يتّسع بخُلُقه لمن يتّفقون معه في الرأي، ويتّسع لمن لا يتّفقون معه. وعندما يتّسع بخُلُقه لمن لا يوافقونه في الرأي،لا يتنازل على أساس مجاملة.

الكثيرون منّا ربّما تدفعهم أخلاقهم إلى أن يجاملوك على حساب مبادئهم وقِيَمهم ومواقفهم. لكنّه كان يفتح لك صدره، وكان يوحي لك عندما يفتح لك صدره بكلّ محبّة وبكلّ رحابة صدر.. كان يوحي لك بأنّ الخُلُق الذي يرتكز على أساس العلاقات الاجتماعيّة شيء، وأنّ المواقف المبدئيّة شيء آخر، وليس معنى أن تحمل خُلُقاً عظيماً أن تتنازل مع الذين تختلف معهم في الرأي، بل أن تعرّفهم أنّ اختلاف الرأي لا يمكن أن يشكّل أساساً لعداوة أو خصومة أو خلاف شخصيّ.

وتلك نقطة نحتاجها في مسيرتنا الاجتماعيّة، في خلافاتنا واتفاقاتنا.... تلك هي نقطة بارزة في حياة فقيدنا الكبير، وفي هذا الاتجاه نظلّ نسير مع حياته لنلتقط عنها الكثير الكثير ممّا يمكن أن نتعلّمه، كان يرصد واقعه من حوله، وكان يرصد الانحراف في أجوائنا، الانحراف في العقيدة أو الانحراف في الخطّ السياسيّ، أو الانحراف في الممارسات الاجتماعيّة.

وكان يشعر أنّ عليه أن يقف موقف الإنسان الذي يعنّف تارةً ويهاجم، ويرقّ تارة أخرى. وأنتم هنا في هذه البلدة الطيّبة تعرفون أنه وقف من على هذا المنبر الوقفات القويّة الصامدة المنفتحة. كان يشعر من خلال قناعته أنّ الواجب يفرض عليه إلاّ يسكت لأنّ الساكت عن الحقّ شيطان أخرس. إذا استطاع أن يتكلّم، وكلٌّ يشعر أنّه يستطيع أن يتكلّم... وتكلّم بالكلمات القويّة وبالكلمات المنفتحة

يقنع هذا ويحاور ذاك، وكان يشعر أنّ الكثيرين لا يرتاحون لتلك الكلمات، وكان يشعر أنّ الكثيرين يسجلون مواقف سلبيّة، ولكن متى كان الرساليّون يتوقّفون أمام موقف سلبيّ من إنسان أو أمام معارضة من إنسان آخر؟ إنّ عليهم أن يقولوا كلمتهم من موقع قناعتهم ومن موقع دراستهم للواقع، وليست المشكلة بعد ذلك أن يقبل الناس أو لا يقبلوا،...

... كان يتحرك في حياته، يتسلّم الحقوق الشرعيّة باعتباره المعتمد للمرجع الأعلى للطائفة الإسلاميّة الشيعيّة آية الله العظمى السيّد محسن الحكيم، وكان يشعر أنّ الحقوق ليست امتيازاً وليست غنىً وإنّما هي مسؤولية.. ونحن نعرف أنّه عاش حياته من موقع العطاء وأنه كان يستقبل في أوائل كلّ شهر وفود الأرامل والأيتام ويمنح لكلٍّ منهم ما يستطيع أن يمنحه..

والله اسأل أن يتغمّد فقيدنا الكبير برحمته ويسكنه فسيح جنّته ويلهمنا ويلهم أهله الصبر والسلوان.

٨- ما ورد في تراجم الشيخ

ورد في مستدركات أعيان الشيعة للسيّد حسن الأمين[١] ما نصّه: الشيخ حسين معتوق درس دراسته الأولى في جبل عامل ثمّ أتمّها في النجف الأشرف ،وعاد إلى لبنان فسكن في (الغبيري) من

(١) مستدركات أعيان الشيعة: ج١ - ص٢٦ - ٢٧.

ضواحي بيروت، وبنى فيها مسجداً، كان يقيم فيه الجمعة والجماعة، ويعظ الناس ويرشدهم، وكان وكيلاً لأحد مراجع النجف.له كتاب المحاضرات الدينيّة، وله بعض الأشعار عندما كان طالباً في النجف.

من شعره:

أَمِنَ العدلِ أنّهم يوم بانوا   أيقظوا جفنيَ القريحَ وناموا؟

ومنه:

هيهاتِ أن يتسلّى القلبُ بعدكمُ   والبُعدُ يقدحُ أزنادَ الأسى فيهِ
إنْ مالَ للصبرِ عنكم لحظةً بعثَتْ   ذكراكُمُ لوعةَ الأشواقِ توريه

- **ويقول عنه الشيخ إبراهيم سليمان في كتابه «علماء جبل عامل»**: «كان مثالاً للعالم العامل، وكان من أجمع أهل صنفه للكمالات أخلاقاً وعلماً وفضلاً وتواضعاً وبَذلاً وإرشاداً، وكان حَسَن الحفظ،وحَسَن الأخلاق، يحفظ من الحوادث المؤنسة والنكات المُضحكة ما لا تجده عند غيره، لا يكاد يملّ المرء من معشره إذا جلس إليه.

وهو من الطبقة الأولى في المعاصرين، شاعرٌ أريحي الطبع، لطيفُ المجالس، ثابتٌ في فتاواه، إنّه بقيّةٌ من القطع النادرة الذين قلّ وجود أمثالهم علماً وتقوى وأمانة وصدقاً وتديّناً واستقامة، يمثّل العالم الديني الكامل أروع تمثيل في زمن قلّ فيه الديّانون.



وصفة اللطف والتواضع وحُسن الأخلاق من أبرز مميّزاته وتلك من صفات العالم الدينيّ حقيقة، التي يمثّل بها الإمام عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله قبله الذي نطق التنزيل بوصفه قائلاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

تُضحكه النكتة، ويُعجبه الشعر الجيّد، والمفاكهة العذبة، كما يُؤنسه البحث العلمي والجدل الدينيّ والتحقيق الفقهيّ، ولقد كانت تدور بيننا مكاتبات لو صحّ نشرها لكانت من طرائف الفنّ والأدب والعلم والشعر.

لقد عاش وسط تيّارات سياسيّة واجتماعيّة وعلميّة هنا وفي العراق، فرأيناه حافظاً لتوازنه، حَسَن الاختيار، ورأيناه في فتاواه طوال مدّة حياته موزوناً شديد الاحتياط رغم أنّه من أهل النظر. ولم يخلُ ظرف من ظروفه التي عاشَها في بيروت من تيّارات تتطاحن قيماً فيها، فكان مع ما يعتقد أنّه الحقّ في ضميره، واسع الصدر للخصوم فلا يجابههم بقسوة، ولا يعارضهم بحِدّة، وتَغلب عليه الابتسامة التي يُنهي بها النزاع، وكأنّ شيئاً لم يكن..».

قامت مجلّة العرفان بدراسة حول سماحته وشعره، حيث وجدنا النص الآتي: «**سماحة الشيخ حسين معتوق وُلد سنة ١٣٢٠هـ في بلدة العبّاسية من جبل عامل. بدأ دراسته في كتّاب البلدة عند الشيخ إبراهيم ياسين، ثمّ في مدرسة بلدة طيردبّا القريبة من قريته عند**

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

الشيخ عبد الله دهيني. ثمّ درس العلوم التي تعدّه للدراسة النجفيّة على الشيخ حسين مغنية، ثمّ سافر إلى النجف الأشرف فكان من أساتذته هناك كلّ من السيّد حسين الحمامي والسيّد محسن الحكيم».

٩- وما قيل فيه في مناسبات أخرى:

- الشيخ إبراهيم سليمان:

عَلَمٌ أنتَ في سِجِلِّ الخلودِ صاعدٌ أنت، مُمعنٌ في الصعودِ
راسخٌ في عقيدة الحقّ، ماضٍ في سماء الهُدى لأفْقٍ بعيد
صامدٌ في مضارب العلم والفضلِ بعد المدى، شديدُ الصمود
قد بسطتَ الأموالَ بسطاً جميلاً في اليتامى، وفي أيامى الوفود

- الدكتور زهير البيطار:

أيها العلاّمة العَلَم الشامخ، لقد غبت عنّا بجسدك، لكنّك بيننا بضيائك وأثرك، فأنتم معاشرَ العلماء كالنجوم الساطعة تُنيرون دروب الحياة، بل أنتم خيرٌ من النجوم، فهي آفلة فيحتجب نورها ولكنّ نوركم باقٍ بعد الأفول.

الشيخ محمّد جواد الفقيه:

أنت معجزة في نشأتك، ومعجزة في رحلتك الطويلة، ومعجزة في فتح باب الأمل للبائسين الصابرين إذا تأمّلوا في سيرتك واحتذوا خطاك.



- الدكتور محمّد كاظم مكي:

لقد كنت في حياتك مؤثّراً، وفي مماتك أكثر تأثيراً، فالتكلم اليوم عليك إطلالة على الجنّة حيث أنت مع الصدّيقين والأولياء في ظلّ من رحمة ربّك.

- الدكتور عبد الجليل عمرو:

الإنسان فكرة وعمل.. يسعى المرء جاهداً إلى أن يسمو بفكره كما يسعى إلى أن يتجلّى ويتكامل بعمله.. وغاية الغايات أن يبدع بالاثنين معاً، إذاً أجلّ نعمة يسبغها الخالق على مخلوق، هي شخصيّة متماسكة متناغمة ومتجانسة فكراً وعملاً، هذه النعمة حلّت على فقيدنا الكبير تغمدّه الله بواسع رحمته.

- الشيخ عبد الامير قبلان:

في هذا الحفل جئنا لنودّع عميد العلماء وكبيرهم ومرجعهم الشيخ حسين معتوق، نتجرّأ في غيابه أن نتكلّم وأمّا في حضوره فلم يفسح لنا أبداً.. كان السند والثقة. وأوّل فاتح من رجال الدين لبيروت وللضاحية هو الشيخ حسين معتوق، أوّل من أسّس وعلّم وجاهد في هذه المنطقة.. كان يعيش الزهد، كان يرفض الدنيا ولا يجامل الدنيا ولا يتعامل مع أهل الدنيا، كان أكبر من آمالهم ومن خدعهم ومن تصوّراتهم.. بذل جهده ليكون في الغبيري مسجد يليق بهذه الطائفة.

من عاشر الشيخ حسين معتوق يعرفه حقّ معرفته. كان لنا في المجلس الإسلاميّ الشيعيّ الأعلى السند الحقيقيّ، هو الذي أشرف على تشكيلة الهيئة الشرعيّة الموجودة حاليّاً، وكان الإمام السيّد موسى الصدر يسترشد بآرائه ويأخذ منها، كان العين الساهرة، كان المراقب، وكان المدّبر وكان الواعظ.

أوّل رجل دين في لبنان طوّر المجالس الحسينيّة.. نحن لا نفيه حقه بمهرجان، لا نفيه حقّه بخطبة مهما كان وزنها ومهما كان قائلها.

- الشيخ حسن طراد:

... فقيدنا الراحل المجاهد الكبير، فرد من هؤلاء الأعلام الذين حملوا مصباح الهداية وراية الإصلاح، فقادوا المجتمع في السبيل المستقيم والنهج القويم بالسيرة المستقيمة والموقف الصريح الثابت، الذي لم يزل ولم يتزلزل معه قيد شعرة عن منهج الحقّ، هذا الحقّ الذي لزمه وتابعه وكان يصارع في سبيل الدفاع عنه والمحافظة عليه اقتداءً بإمامه أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال: «**ما ترك لي الحقّ من صديق**»، هكذا كانت الصفة البارزة في حياة فقيدنا الراحل، الاستقامة في طريق الحقّ، والمدافعة عن الحقّ، والدعوة إلى الحقّ، مهما كلّفت الأمور، رضي الناس أم سخطوا...

فالمرحوم فقيد الإسلام، حجّة الإسلام، طرح قشور الدنيا،



وأخذ باللباب، وسار على درب الحقيقة والصواب، حتى نال الحياة الحقيقيّة الخالدة..

هذا مضاف إلى ما خلّفه من آثار، وتركه من خدمات ومشاريع، وهذه الحسينيّة إحداها، وهناك المسجد بعض حسناته،وهناك المسجد في الغبيري الذي أسّسه وأقامه حرماً شامخاً، وتركه مدرسة سيّارة، ليستفيد المجتمع منها دروساً في الهداية والصلاح والإصلاح..ومن آثاره وأسباب خلوده، أبناؤه الأخيار الذين ساروا على منهجه عقيدة صحيحة، وإيماناً راسخاً، وسلوكاً معتدلاً،علماً وأدباً وخلقاً وفضيلة ونُبلاً وشهامة، تلك آثارنا تدلّ علينا فسلوا بعدنا عن الآثار.

- ويروي الشيخ عبد الرسول حجازي (مواليد ١٩٣٣):

«بدأت دراستي الدينيّة عند سماحة العلاّمة المرحوم الشيخ حبيب آل إبراهيم، والعلامة المرحوم الشيخ حسين معتوق الذي استفدت منه كثيراً، من علمه ومن أخلاقه، فكان داعياً لله بعلمه وعمله مصداقاً للحديث الشريف (كونوا دعاةً لنا بغير ألسنتكم)».

- ويروي الشيخ محمّد تقيّ الفقيه قدس سره في كتابه «حجر وطين»، حول وضع الطلاّب اللبنانيّين في النجف، فيقول:

«(وقلّ عدد العامليّين في النجف حتّى أصبح نحواً من عشرين طالباً، وكانوا كلّهم يحضرون دروس الخارج)، أحدهم هو، والسيّد

حسين مكّي، والسيّد هاشم معروف، والسيّد عبد الرؤوف فضل الله، والشيخ حسين معتوق، والشيخ سليمان سليمان، والشيخ إبراهيم سليمان، والشيخ رضا فرحات، والشيخ بشير حمّود، والشيخ خليل ياسين، والشيخ زين الدين شمس الدين، وغيرهم.

ومعظمهم ممّن نال المراتب العالية في الفضل والكمال، إلاّ أنّ أكثرهم ترك النجف في وقت مبكّر، لحاجة بلادنا إليهم من جهة، ولاشتداد المحنة عليهم بسبب الظروف التي رافقت الحرب العالميّة الثانية، وما رافقها من غلاء وفقر، حيث كان اعتمادهم على الفُتات الذي كان يصل إليهم من بلادنا مع انقطاع ذلك بسبب تلك الحرب. لا سيّما الشيخ حسين معتوق الذي قام بجهود كريمة في بيروت وجبل عامل».

- ويقول الشاعر سمعو عبد الكريم الدرويش، مواليد حلب ١٩٢٢م، الذي اعتنق التشيّع عام (١٩٦٨م):

«سبب تشيُّعي لآل البيت أنّي كنت أقرأ كتب الإماميّة، وقد التقيت بسماحة العلاّمة المجاهد الشيخ حسين معتوق من صير الغربيّة (جنوب لبنان) بمسجد يقع في حيّ الشيّاح (الغبيري) حيث سألته ومن ثَمَّ لازمته فترة طويلة، وكان مثالاً للعالم الزاهد القانع، فكان يدعو لله دون أن يتكلم (كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم)».

ومن الشواهد التي ما زالت عالقة بذهن الشاعر، أنّ سماحة الشيخ عاش الزهد قولاً وفعلاً، وأنه كان دائم البسمة، وكان يبادر إلى



السـلام على الصغير والكبير، وإذا كان جالساً، يهبّ واقفاً لاستقبال زائريه، ويودّعهم إلى باب المنزل عند مغادرتهم. وكان يصوم معظم أيّام السنة.

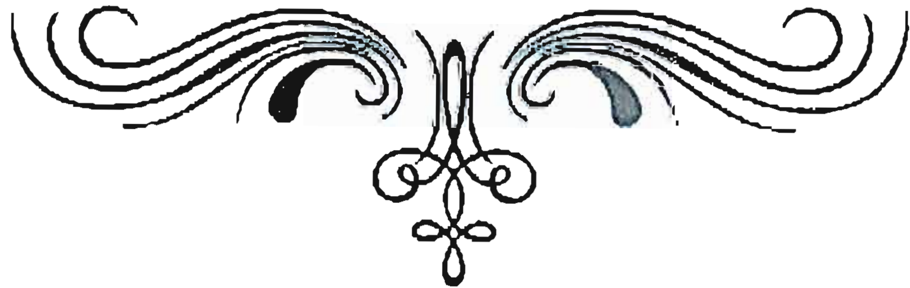


الفصل الخامس



الكلمات القصار

مقتطفات من كلمات
العلّامة الشيخ حسين معتوق قدس سره



الهجرة النبويّة المشرّفة

- في لحظة من لحظات التأريخ الخالدة، تلفّت الزمن إلى الأمام ليرى كيف يمكن للقلّة المؤمنة أن تغيّر مجرى التأريخ، وأن تغيّر مجرى الحياة، وتفتح في سجلّ الخلود باب الأمل في الحياة بعد اليأس، والحركة الهادفة إلى الغاية بعد طول الركود.

- تلك معانٍ قد تمثّلت في تأريخ الهجرة النبويّة، التي كانت فصلاً بين حياتين: حياة كان الإسلام فيها من جهة بأهله غريباً، وحياة أقام المسلمون في ظلّها دولة وطيدة الأركان، شامخة البنيان..

- لقد أراد الله أن تكون الهجرة بداية الطريق لإقامة المجتمع المسلم، حيث الأرض الهادئة، والقلوب الوادعة، والأخلاق الرحيمة، التي فتحت ذراعيها لإستقبال الدعوة.

- إنّ الهجرة النبويّة تعتبر بحقّ، من أروع الأحداث التي سجّلها



التاريخ الإسلاميّ، وهي أوّل لبنة في بناء صرح الدعوة الإسلاميّة؛ لأنّ الدعوة في مكّة لم تظفر إلاّ بتركيز جهودها على تحرير العقيدة، وتوجيه الناس إلى عبادة الله. أمّا بعد الهجرة، فقد انتقلت إلى مرحلة التشريع والتنظيم، بوضع المنهاج لسلوك الفرد والجماعة، بما يتقوّم به صلاح المجتمع، من جميع جوانبه الدينيّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والإقتصاديّة.

فالهجرة حركة فاصلة بين مرحلة من الزمان انتهت، ومرحلة جديدة من الزمان أقبلت، وهي تحمل في طيّاتها ذكرى المرحلة المظلمة التي انتهت، والمرحلة المشرقة التي أقبلت، حيث انتقل المسلمون فيها من الذلّ إلى العزّ، ومن الفقر إلى الغنى، ومن رعي الغنم إلى قيادة الأمم.

- لم يكن المقصود من الحديث عن هذه الهجرة المباركة حديثاً يُنشر أو يُذاع، لمجرّد العلم به أو التندّر فيه، وإنّما أن يكون درساً نستمدّه من واقع تاريخنا المجيد، نتعلّم منه كيف يكون التخطيط للجهاد في سبيل الحقّ والحريّة، والعزّة والكرامة.

- فإن الرجوع إلى ذكرى الهجرة، وما صاحبها وسبقها من التخطيط يجعلنا في مستوى المسؤوليّة، لمواجهة سفينة الحياة الإنسانيّة، خلال الأمواج العاتية، وتوجيهها نحو شاطئ السلامة، ومرفأ الأمان، إلى حيث النصر والتحرير.

- أصحاب الهجرة، لم يعرفوا لأنفسهم إلاّ النصر أو الإستشهاد في سبيل عقيدتهم. وقد اجتمعوا بحكمة القائد والمعلّم، للإسهام في نشر الدين الجديد، وإقامة صرح الإسلام قويّاً، وثيق البناء..

- ولأجل ما اشتملت عليه الهجرة من الأحداث، وما ترتّب عليها من الإنطلاق والتغيير في حياة المسلمين، ناسب أن تكون الهجرة بداية التاريخ في حساب الزمن، وإن كانت في أبعادها، تستقلّ عن مدار الزمن، لأنها بداية الشريعة الخالدة، والمعاني الخالدة لا تخضع لعوامل الزمن؛ لأنّ الزمن محدود ببداية ونهاية، وهي لا تنتهي إلى نهاية؛ لأنّها ليست من الزمن..

- وكل تلك الأحداث، تطالعنا مشرقةً بالإيمان المخلص، والتضحية الغالية، تلك التضحية التي تألّقت في حادثة الهجرة، لنأخذ منها العبرة والعظة، لنجعل منها القدوة الطيّبة، والأسوة الحسنة.

- وهنا تتجلّى فدائيّة عليّ، فيمتثل أمر رسول الله ﷺ طائعاً مختاراً، بقوله: فداك أبي وأمّي ونفسي يا رسول الله، أوتسلم أنت؟ قال نعم.لقد فدى رسول الله بنفسه، وقدّم روحه فداءً لدين الله، عن رضا وإطمئنان. ولولا تلك التضحية، لما تسنّى للنبيّ ﷺ أن يترك داره في تلك الليلة، ولما تيسّرت



لـه الهجرة التي كانـت مفتاحاً لإنتشار ديـن الله في الأرض. وللتدليـل علـى عظمة هـذا الموقف الـذي يستحـقّ التقدير والتكريـم من العزيز الحكيم، أنــزل الله في حقّه قرآناً يتلى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(١).

- وحادثة الهجرة تطلّ علينا بعد أربعة عشر قرناً من الزمان وهي لا تزال تتألّق في جبين الحياة، وتهزّ ضمير الوجود؛ لأنّها هجرة تحمّلت مسؤوليّة الأمانة، وهي لم تبتغ بما حملت وتحمّلت، غير وجـه الله، فهي لذلك هجرة قلـوب وأرواح، لا هجرة قد نزعت راضيـة عن الأهل والمال والولد، إلى قمم من المعاني يتضاءل بجانبهـا كلّ متـاع الدنيا. وهـي لم تكن مجرّد رحلـة من أرض إلى أرض، تخللتها معجزة الغـار والحمام والعنكبوت، أو فراراً من أرض المعركة، كما حلا لأعداء الإسلام أن يلقّبوا صاحبها بالنبـيّ الفارّ، وإنّما كانـت منطلقاً للفـداء والتضحية من أجل المعذّبيـن في الأرض، الذين قـد أصبح لهم بالهجرة وجودهم الواسع، وعلاقاتهم القائمة على الحبّ والإخاء.
- فهجـرة كلّ إنسـان إلـى مـا هاجر إليـه. من هاجـر إلى الله ورسولـه، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هاجر إلى الشيطان، فهجرته إلى الشيطان، وقلـب الإنسان هو سفينة الإنسان إلى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

مهجره، والعقل هو ربّان تلك السفينة إلى شاطئ النور أو الظلام.

- أيّ فائدة لذكرى الهجرة، إذا لم تفجّر في النفوس مكامن الخير، ومطاوي العزّة والرجولة؟ فالذكرى إذا لم تكن حافزاً للإيمان بمعانيها وقيمها خرجت عن مغزاها وحقيقتها.

- يقول إنّ ذلك الصوت الذي دوّت به شعاب مكّة، يعيده الحسين ابن عليّ عليه السلام بعد سبعين عاماً في كربلا، بل في مكّة، لأنّ هذين الصوتين، إنّما ارتفعا، وعمّا، وشملا العالم في مكّة: صوت محمّد في مكّة يدعو الناس إلى الله فيقول: أيّها الناس، قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا.

- وليس من باب الاتفاق، أن تقترن ذكرى هجرة النبيّ، من مكّة إلى المدينة، بذكرى هجرة الحسين عليه السلام، من المدينة إلى مكّة. ولئن اختلف مكان الهجرتين، فلن تختلف الغاية والهدف من وراء الهجرتين.

- **المؤاخاة بين المسلمين الأوائل:**

- وكان أوّل عمل باشره النبيّ صلى الله عليه وآله في أرض الهجرة أن أزال ما في نفوس الأوس والخزرج من عداء متأصّل، نتيجة الصراع الدامي الذي كان يقع بينهم في الجاهلية. وثنّى بعملٍ رفيع له أهميّة في إيجاد المجتمع المتماسك، وهو مؤاخاته بين

المهاجرين والأنصار، تلك المؤاخاة التي انتهت في عمقها وأصالتها إلى مرتبة الإيثار، تحوّلت إلى نقطة إنطلاق للدعوة الإسلاميّة، تشقّ طريقها في الأرض بعدما وجدت سبيلها في النفوس التي صاغها الدين وفق إرادة السماء وأعدّها لحمل الأمانة.

- كلامه في أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

- فيجدر بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أن يستعيدوا في أذهانهم، صورة حيّة من صور هذه الذكرى المليئة بالعظات والعبر، وان يستلهموا من تضحية عليّ عليه السلام، في سبيل المبدأ والعقيدة، ما يبعث فيهم العزيمة والصلابة، في نصرة الحقّ، ومقاومة الباطل.
- فليحدّث التاريخ، إن استطاع أن يحدّث، عن مثل شجاعة عليّ عليه السلام وصموده في وجه الأحداث التي إصطدمت بها حياته من اليوم الأوّل، حتى اقترن تاريخها بتأريخ الهجرة التي كان فيها الفدائيّ الأوّل.

- كلامه في الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام :

- لم يكن خافياً على الإمام الحسن عليه السلام ما كان يُحاك حوله من المؤمرات في صفوف جيشه الذي كان أكثره على صلة بمعاوية لأنّه مؤلّف من عناصر شتّى قد ساعدت معاوية على خلق الشغب

في صفوفه، وسهلت لـه السبيل لشراء الضمائر الرخيصة التي كانت أقوى في يد معاوية من سلاح الحديد والرجال.

- لقـد صالح الإمـام الحسن عليه السلام كما صالح جـدّه في صلح الحديبيـة، وقعد لما فقد الأنصار كما قعـد أبوه من قبله لمّا فقد الأنصار يوم السقيفة ويوم الشورى.

- تضحية الإمام الحسن عليه السلام في سبيل الحقّ لا تقلّ أثراً عن تضحية الإمام الحسين عليه السلام، بل لولا تضحية الإمام الحسن عليه السلام بالصلح لما كانت تضحية الإمام الحسين عليه السلام ولما بقي الإمـام الحسين عليه السلام أو أحد مـن آل عليّ ليثور بجانب الحقّ علـى الباطل. والإمـام الحسـن عليه السلام بالصلح شهيد الحـقّ كأخيه الإمام الحسين عليه السلام، ولـو أنّ جسمه سلم من جـراح المعركة، لكن قلبه لم يسلم مـن جراحها، وإنّما حمل الجراح بقلبه صبراً وإباءً حتّى تقيّأه في الطشت قطعة قطعة.



- الإمـام الحسن عليه السلام بقعـوده، قد فتح باب الميـدان للإمام الحسيـن عليه السلام. بينمـا فـي ظرفـه هـو، كان أكثـر أنصـاره متخاذليـن، وأكثر جيشه من المنافقيـن. ومعاوية الداهية قد أخذ زمام المبـادرة، فدعا الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح، والجيش قادم يومذاك، من ثلاث معارك، قد ملّ الحرب، فلمّا سمعوا بكلمة الصلح، تخاذلوا وتواكلوا.

- أمّـا الإمام الحسـن عليه السلام، الذي لم تسمح لـه ظروفه بالثورة

المسلّحة، فقد جرّد سلاحاً خاصّاً هو الصلح، ففضح به معاوية وبني أميّة قاطبة، وأثبت للرأي العامّ، أن بني أميّة قد ساروا في جاهليّتهم الحديثة، ينسجون على منوال جاهليّتهم القديمة. حتى إذا وصل الدور إلى يزيد وطفح الكيل، فحينئذٍ أصبحت القضيّة لا تحتمل سوى الثورة؛ لأنّ يزيد قد أعلن الكفر صراحةً.

- ما امتنع الإمام الحسن عليه السلام عن الشهادة، وإنما الشهادة هي امتنعت عليه، ما ضنّ بنفسه، أو بخل بنفسه، وما قيمة الحياة في نظر أهل البيت عليهم السلام لولا أنّهم في الحياة؟ قيمة الحياة بهم فهل يلتمسون الحياة ؟ ما قيمة الحياة لولا أنهم فيها؟ وما قيمة السلطة لولا أنّها ميدان لخلافتهم في الأرض؟ والخلافة كالنبوّة، لا يمكن أن تأخذ سبيلها في الأرض إلاّ بالأنصار المخلصين الذين لم يتيسّروا في أيّام الإمام الحسن عليه السلام ، كما تيسّروا للحسين عليه السلام .

- النبي صلى الله عليه وآله يشير إلى قعود الإمام الحسن عليه السلام ، كما يشير إلى قيام الإمام الحسين عليه السلام ، حيث يقول صلى الله عليه وآله: «**هذان ولداي، إمامان قاما أو قعدا**»، والمعنى أنّ إمامتهما ثابتة في حالتي القيام والقعود.

- كلامه في الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام

- إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كانت له عناية خاصّة بالإمام الحسين عليه السلام ، دون أخيه الإمام الحسن عليه السلام ، وللحسين علاقة خاصّة بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله. هذه العلاقة ليست علاقة العاطفة، إنّها

علاقة بالرسالة، وللإمام الحسين عليه السلام علاقة خاصّة برسالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

- سجّل التاريخ هذه الكلمة، حيث قال صلى الله عليه وآله: **«حسين منّي وأنا من حسين»** ما معناها؟ إنّ هذه الكلمة تشير إلى معنى عميق الدلالة. أمّا قوله حسين منّي، فيعني تولّد منّي لأنّه إبن بنتي، وأمّا تولّد النبيّ صلى الله عليه وآله من الإمام الحسين عليه السلام فهو بالولادة الروحيّة. يعني أنّ الرسالة عادت إلى المجتمع المسلم بنهضة الحسين عليه السلام، وبحياة الرسالة حياة محمّد صلى الله عليه وآله، فكأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وُلد من جديد بثورة الإمام الحسين عليه السلام.

- كلّ الناس يعلمون أنّ الإمام الحسين عليه السلام من النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بالولادة. لكنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يريد الإشارة إلى معنى عميق الدلالة، يريد أن يجعل من الإمام الحسين عليه السلام إمتداداً لمحمّد الرسول صلى الله عليه وآله. يريد أن يقول حسين منّي يعني لا من ذات محمّد، بل من محمّد الرسول صلى الله عليه وآله، وإلاّ فالإمام الحسن عليه السلام منه أيضاً فلمَ لم يقل الحسن منّي؟.

- إذاً لا يتصوّرنّ أحد أنّه يستطيع أن يتّصل بالإسلام، ويتّصل بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله، ولا يتّصل بالإمام الحسين عليه السلام. الإسلام تمثّل بالإمام الحسين عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وآله تمثّل بالإمام الحسين عليه السلام، وأنتم الآن تتمثّلون بالحسين، لكن إذا طبّقتم مبدأ الحسين، وسلكتم نهج الإمام الحسين عليه السلام.



- أيّها المؤمنون، حينما قال النبيّ ﷺ: «**حسين منّي وأنا من حسين**»، فكلّ حياة الإمام الحسين عليه السلام هي تمثيل لحياة جدّه النبيّ ﷺ، من جميع النواحي؛ لأنّ الظروف قد هيّأت للحسين عليه السلام، ما لم يتهيّأ لغيره، فلذلك كان إمتداداً لسيرة جدّه وحياة جدّه.

- خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة والناس يدخلون لأداء فريضة الحجّ. لكنّ الإمام الحسين عليه السلام أُزعج فأُخرج عن حرم الله، وحرم رسوله. لأنّ يزيد بن معاوية، قد دسّ ثلاثين شيطاناً من شياطين بني أميّة، وأمرهم أن يقتلوا الإمام الحسين عليه السلام، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، فخاف الإمام الحسين عليه السلام أن يغتاله بنو أميّة. لكن ما فرّ من القتل، فرّ لئلا تموت دعوته ورسالته. إذ هو لم يبلّغ الرسالة حتّى الآن؛ لأنّ الرسالة تحتاج إلى عمليّة استشهاديّة.

- خرج الإمام الحسين عليه السلام من بلد قد جعله الله مثابة للناس وأمناً، ولكنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن آمناً في ذلك اليوم. محلّ أمن لمن؟ للطيور والحيوانات، وللبشر والنبات. ومع ذلك فابن رسول الله ﷺ لم يكن آمناً في مكة.

- وقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلا ملبّياً، ولكن من بعد التلبية قدّم التضحية. قدّم الإمام الحسين عليه السلام بدل الضحيّة في منى، ضحايا من أهل بيته وصحبه، حتى نفسه جاد بها

بسخـاء في سبيل الله. واستبدل بالسعي الذي يكون بين الصفا والمروة، السعيَ ما بين جثث القتلى من صحبه وأهل بيته، فصار يسعى في وادي كربلا. واستبدل بالطواف حول البيت، الطوافَ حول تلك الجثث الطاهرة في كربلا. وبالتالي استبدل أنه قدّم نفسه الضحية الكبرى لهذا الدين. إستبدل بالطواف واستبدل بشيء آخر. والذي يطوف ماذا يصنع؟ الذي يطوف والذي حجّ البيت يعرف، الذي يطوف يبتدئ بطوافه من الحجر، ويلمس الحجر إذا تمكّن ويقبّله، ولكنّ الإمام الحسين عليه السلام بدل أن يستلم الحجر بيده، قد إستلم الحجر يوم العاشر بجبهته.

- الإمام الحسين عليه السلام هانت عليه الحياة حين عزّت في عينه العقيدة، وصغرت في عينه الدنيا، عندما كبرت في عين غيره. لذلك استبسل في مواطن البأس، وتماسك في مزالق المحنة، فما وهن لما أصابه في سبيل الله، ولا ضعف ولا استكان، بل بقي ثابت الجأش، حتى خطّ بدمه الزكيّ على أرض الفناء وثيقة الخلود.
- نحن الآن مدعوّون لأن نكون مع الإمام الحسين عليه السلام، فنهاجر إلى ما هاجر إليه، ونتمسّك بما تمسّك به، وأن نكون مستعدّين للتضحية إذا لزم الأمر.

أسباب النصر الإلهيّ:

- عندما علم الله من هذه النفوس صدق النيّة، على ما بايعت



Scanned with CamScanner

وعاهدت، آتاها النصر، ومنحها الصبر الذي تستدعيه عبادة الله في الأرض. وهي من وراء هذا وذاك، قد قدّمت للأجيال المتعاقبة المُثل الخالدة في الدفاع عن المبادئ الحقّة، بعدما أثبتت أنّ تلك المبادئ قد انتصرت أوّلاً في نفوس أصحابها، وامتزجت بوجدانهم، وإلاّ لإنطوت في مطاوي الضياع والفناء.

- إنّ الصفوة المختارة، التي صنعت الأحداث للتأريخ، وسجّلت بدمائها تأريخاً حافلاً بالعزّة والكرامة، ترينا معالم الطريق واضحة، وتثبت خطى من يريد متابعة الزحف في دروب الجهاد، ويختار لنفسه حياة الأحرار، وهي الحياة التي تشرق في سمائها شمس الإخاء والإيثار، وترفرف في أجوائها ألوية العزّة والإنتصار.

- فليحدّثنا التاريخ، إن اسعفته الذاكرة، عن إيثار الأنصار في المدينة، لإخوانهم المهاجرين على أنفسهم، ثمّ ما نتج من هذا الإيثار والتلاحم والوحدة، من عزٍّ للإسلام، وخيرٍ للمسلمين.

- لقد نشرت الدعوة الإسلاميّة ألوية الحضارة خفّاقةً على ربوع الأرض في أقلّ من ربع قرن. وذلك إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ النصر والفتح، هما وليدان شرعيّان للفداء والإيمان، وأنّ الفداء والإيمان هما وليدان مباركان لهجرة القلوب إلى المُثل الرفيعة.

عاشورائيّات

- عاشوراء والنهضة الحسينيّة:

- لقد كانت القراءة في السيرة العاشورائيّة قبل أن نتعرّف على الخطيب الشيخ عبد الوهّاب الكاشي قدس سره، بسيطة لا تمثّل الغرض الذي يريده الإمام الحسين عليه السلام، كانت صرف نحيب وبكاء. والإمام الحسين عليه السلام نفسه يبرأ من الدموع، إذا لم تكن سخطاً ونقمة على الظلم والظالمين، أو إذا لم تكن تعبيراً عن الحقّ، والعمل بالحقّ، تبدأ بنفسك أوّلاً، ثمّ ببيتك ثانياً، ثمّ بمجتمعك ثالثاً.

- لا داعي لأن نقول يا ليتنا كنّا معكم، نحن الآن معهم، نستطيع أن نمثّل دور حبيب وزهير وبرير.

- فليفهم الطاغون، وليفهم المنحرفون، الذين نسجوا على منوال أولئك الذين إنحرفوا في ذلك اليوم عن الحقّ وأهله، أنّ هذه المأساة نجدّدها في كلّ عام، بل في كلّ شهر، بل في كلّ يوم، لتعيش معنا وتحيا في قلوبنا وضمائرنا.

- الإمام الحسين عليه السلام لا يريد منّا البكاء فحسب، صحيح أنّ القلب إذا لم يكن ممسوخاً، فلا بدّ أن يتأثّر بهذه الحادثة، ولكنّ الإمام الحسين عليه السلام لا يكتفي من محبّيه بالدموع. إنّما يريد أن نطبّق مبادئه ونسير بسيرته.
- إنّ المؤمن لا يهمّه الإنتصار في المعارك، بقدر ما يهمّه أن ينتصر على نفسه، وأن يكون إلى جانب الحقّ. وليست العِبرة أن ينتصر في معارك السلاح. فقد ينتصر مبدأ الحقّ، دون أن يرافق ذلك إنتصار بالسلاح.

أنصار الإمام الحسين عليه السلام

كثير ممّن استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام، ما مرّت عليهم فترة طويلة صحبوا فيها الإمام الحسين عليه السلام حتّى نقول إنّهم شاهدوا الأنوار الإلهيّة، فإقتبسوا من تلك الأنوار حقيقة الدين. ففيهم من كان نصرانيّاً مثلاً، وفيهم من سمع موعظة فأثّرت فيه، فمثلاً نجد أنّ سعيد بن مرّة التميميّ الذي كان في مجلس يزيد بن مسعود النهشليّ، حين يسمع القصّة ببساطة، يذهب، ويترك زوجته وينطلق إلى كربلاء.

إنّها نفوس مستعدّة مهيّأة لدعوة الحقّ، وهذه المجالس لها أثر كبير في تلك النفوس، فلا تعلم في أيّ لحظة تدرك العناية والرحمة الإلهيّة، فإذا به يتحوّل في لحظة واحدة من جانب إلى جانب.

لقد كانت كلّ قطرة من دم الإمام الحسين عليه السلام، قنبلة في عرش الملك الأمويّ. وكلّ قطرة دم أريقت على أرض كربلا، هي شعلة تنير دروب الحياة. لذلك كان لها هذا النغم الأبديّ الخالد الذي تُردِّده الأجيال تلو الأجيال، ويدفع الإنسان للثورة على الطغيان والإنحراف ويحفزه للنهضة من أجل العدالة والإنصاف.

إنّ الحقّ لا يتقيّم بالنصر الآنيّ، وإنّما يتقيّم بالنصر الأبديّ، والنصر الأبديّ لا يكون لغير الحقّ، والنصر إنّما يكون للقضيّة التي تبقى ببقاء الحقّ. ومن هنا ذكر الحسين عليه السلام خالدٌ، ولن يفنى الحقّ الذي ارتوت عروقه بدم الحسين بن عليّ عليه السلام.

إنّ الغاية لا تبرّر الواسطة في نظر الإمام الحسين عليه السلام. فالغاية إذا كانت شريفة، لا يجوز التوصّل إليها بكلّ وسيلة. لذلك لم يلجأ كغيره، إلى الدعايات الكاذبة، والشعارات المضلِّلة. إنّه يريد الوصول إلى الحقّ، لكن لا من طريق الباطل، ويريد إقامة موازين العدل، لكن لا من طريق الجور.

كلامه في سبايا العترة الطاهرة:

إنّ في السبي والتطواف بزينب وأخوات زينب، والسلاسل والأغلال في أيديهنّ وأعناقهنّ أعمقَ الأثر الذي لا يغني غناءه السيف في التشهير ببني أميّة، وكشف ظلمهم للناس وكأنّ في ذلك موكب إعلام للناس أن انظروا أيّها المسلمون إلى ما فعله بنو أميّة بذريّة نبيّكم.

إنّ إخراج الأمويّين لزينب عليها السلام وأخواتها هو الذي أعطى مثل هذا الأثر، فهم الذين أدخلوها إلى مجالسهم، وهم الذين مهّدوا لها السبيل لسبّهم ولعنهم والتشهير بهم على رؤوس الأشهاد. وهذا بخلاف ما لو خرجت مختارة - إن سوّغنا لها مثل هذا الخروج أو أرادته لنفسها وحاشاها - فإنه لا يكون له مثل هذا الأثر قطعاً.

ما حاوله الحسين عليه السلام من إخراج العائلة لم يكن ليفهمه أحد غير الإمام الحسين عليه السلام، ولذا لم يجب من أشار عليه بترك العائلة إلاّ بجواب مقتضب (شاء الله أن يراهنّ سبايا)، فإنّ السبي ليس غاية بنفسه وإنّما الغاية النشر والتشهير والدعاية ضدّ الظالمين وضدّ سلطانهم الظالم الغاشم. وهذا ما يريده أهل البيت في مواقفهم من وراء نصرة الحقّ ومقاومة الباطل.

عاشوراء صرخة في وجه الظالمين:

- لقد ترجم الإمام الحسين عليه السلام القول إلى عمل؛ لأنّه لم تنفع مع القوم لغة الكلام. وأخيراً تكلّم السيف، أخذ مأخذه من جسد الإمام الحسين عليه السلام ومن أجساد رجاله، وإنهزمت كلمات الإمام الحسين عليه السلام أمام سلاح يزيد، ولكنّ مبادئ الإمام الحسين عليه السلام لم تنهزم وإسم الإمام الحسين عليه السلام لم يُمح من الوجود، وبقي مع الأيّام رمزاً لمبدأ وعنواناً

لقضيّة، ولا غرو فإنّ موقف الإمام الحسين عليه السلام لم يكن إلاّ نواة للإنسانيّة التي قدّر لها البقاء على مرّ الزمان.

- الإستشهاد من أجل العقيدة ومن أجل بناء الإنسان بناءً إسلاميّاً جديداً هو في الحقيقة معنى إنسانيّ متجدّد لا ينقطع عنه الإنسان في كلّ عصر، وهو لذلك خليق بأن تتعاطف معه القلوب جيلاً بعد جيل على إختلاف في عقيدة الأجيال وتباين أنظمتها الإجتماعيّة، فإنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد لبست مع الأيام ثوباً يصلح لأن يرتديه كلّ إنسان يريد الإحتفاظ بإنسانيّته.

- والثورة كما تكون بالسيف حيث لا مجال إلا للسيف، كذلك تكون بالرأي والفكر، بإعلان الثورة الفكريّة ضدّ الظلم والظالمين. لذا قام كلّ واحد منهم بدوره تجاه الدين بما يناسب طبيعة ظرفه وعصره وكان له أسلوبه الخاصّ في نشر الدعوة وإيضاح معالمها والدفاع عنها بالسيف إن أحوجت الحالة إلى السيف أو ببثّ المظلوميّة بأناة ورويّة وإيقاظ الشعور نحو الحقّ الذي تنكّر له أولئك الطغاة الذين تحكّموا في رقاب العباد بأن يجعل من ذلك منطلقاً للوصول إلى الهدف حفظاً لروح الثورة وتمهيداً لأسباب النهضة ولو بعد حين. وأهل البيت عليهم السلام الذين أسندت إليهم مهمّة الرسالة كانوا يسيرون معها جنباً إلى جنب،



وكلّ إمام قام بالمهمّة حسبما سمحت له الظروف، وإن بدا في ظاهر القيام تباين في السلوك وتناقض في الشكليّات، ولكنّ هذه الظاهرة كانت تبدو على هذا المستوى مختلفة في الظاهر ومتّحدة في الواقع تبعاً لإختلاف الظروف التي مرّ بها كلّ إمام.

- نحن لا نقيم هذه الذكرى بكاءً على فائت، أو بكاءً على الإمام الحسين عليه السلام فقط، وإنّما نجعل من هذا اليوم، ومن هذه الذكرى، احتجاجاً صارخاً على الظلم والظالمين، أينما كان وحيثما وجد.
- ليس غرض الأئمّة من إقامة عاشوراء أن نأخذ منها العَبرة، وإنّما غرضهم أن نأخذ منها العِبرة. أن نعتبر بها وأن نتّعظ بها.
- وتأتي زينب عليها السلام، لتتمّم هذه الأضحيّة. الإمام الحسين عليه السلام ضحّى وقدّم ما عليه، ولكن بقيت هذه الأضحيّة تحتاج إلى من يقدّمها قرباناً إلى الله، لأنّ لها نيّة، لها تقدمة. فجاءت زينب ورمقت السماء بطرفها، بعدما وضعت يديها تحت ظهر الإمام الحسين عليه السلام، قائلة: (اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان). فهل هناك أعظم من هذا القربان، ومن هذه الأضحيّة؟.
- وإذا جاء أحد الشباب وقال: لقد مضى على مأساة الطفّ

قرون وقرون، فما بال الشيعة يضربون لها موعداً في كلّ عام؟ وما بالهم لا يزالون يرون جرحها حيّاً؟.

- فحينئذٍ نقول: إنّ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن مصيبة شخصيّة، والإمام الحسين عليه السلام لم يمضِ إلى القتل من أجل شيء زائل، حتى يُقال إنّ الزمن قد مرّ على تلك المصيبة. إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي امتداد لثورة الإسلام الكبرى، والإسلام لم ينتهِ بعد.

- ما دام الإسلام قائماً فالإمام الحسين عليه السلام موجود، قضيّة اقترنت بكلمة لا إله إلاّ الله، ولولا الإمام الحسين عليه السلام لم تُسمع على وجه الأرض تلك الكلمة.

- إنّ نصرة الإمام الحسين عليه السلام لا تتمثّل في إنقاذه من القتل، وإنّما تتمثّل في نصرة هذا الدين. الإمام الحسين عليه السلام جاء ليُقتل؛ لأنّ في قتله حياة للأمّة. وكلّ من قال لا إله إلاّ الله هو مدين للحسين عليه السلام.

- قضيّة الإمام الحسين عليه السلام ستبقى، وستحيا بالرغم من أنوف الظالمين، وستنتشر وتتّسع، إنّ هذه القضيّة هي اليوم أوضح منها بالأمس، وستكون غداً أوضح منها اليوم، وسيأتي اليوم الذي لا يكون لغير ثورة الإمام الحسين عليه السلام وجود وسلطان في الأرض.

عِبرٌ من كربلاء:

- لقد امتُحن إبراهيم الخليل عليه السلام بنفسه، فكان في مستوى المسؤوليّة، وامتُحن بماله، فكان في مستوى المسؤوليّة، وامتحن بذبح ولده الذي بقي ينتظره ثمانين عاماً، وقيل أكثر من ذلك، فاستعدّ وتهيّأ لذبحه، وكذلك أذعن إسماعيل عليه السلام استجابة لصوت الحقّ، فامتثل أمر أبيه، ولكن لمّا رأى الله سبحانه وتعالى، من إبراهيم التصميم والعزم على التنفيذ، فداه بذبحٍ من عنده؛ لأنّ القضيّة كانت قضيّة امتحان، لا أقلّ ولا أكثر، يعني حكم صدر، لكن مع وقف التنفيذ.

- ولكنّ الحسين عليه السلام حفيد إبراهيم الخليل عليه السلام، كان له مع البلاء شأن آخر، وهو الوارث للإمامة الإبراهيميّة منذ ذلك اليوم، وهو يوم التأسيس؛ لأنّ إبراهيم هو المؤسّس الأوّل لرسالة الإسلام التي نعتنقها نحن اليوم.

- إنّ ذرف الدموع فيه إعزاز للشخص الذي يُبكَى عليه، لكن ليس هذا هو الغرض، إذا استعبر الإنسان، وبكى على الحسين، وكان يسير في خطّ معاكس للحسين، فأيُّ فائدة من تلك الدموع؟ إنّ الإمام الحسين عليه السلام نفسه يبرأ من تلك الدموع.

- فالحسين عليه السلام أعطانا صورة عظيمة عن الحقّ، فضحّى

فـي سبيـل الحقّ، والحـقّ لا زال أمانة في أيدينــا؛ لأنّ الإمام الحسيـن عليه السلام ما ثار إلاّ ليقدّم للأجيــال المثل الخالد، في التضحيــة والفداء، وليفهم الأجيــال المتعاقبة، أنّ الأمّة التي تكتب تاريخها بالدم، لن تقهر ولن تزول من الوجود، ما دامت هــذه الأمّــة تعطي الموت، مــا يشاء من الشهــداء، وما دامت تقف من الموت، موقف الصمود والكبرياء.

- علينــا أن نــؤدّي رسالة الحقّ التــي ورثناها، علــى أتمّ وجه، مهمــا تطلّب ذلك من البذل والتضحيــات، علينا أن نعيش مع هذه الذكرى، ونخرج منها ونحن أقوى إرادة وأمضى عزيمة، وأصمد ما نكون في وجه الباطل، وفي وجه كلّ من يريد الكيد للإســلام والمسلمين. إنّ قضيّة الإمام الحسين عليه السلام ليست حبيسة ذلك المكان وذلك الزمان.

- نستوحــي من هذه الذكــرى، أنّ مَنْ كرمت عليــه نفسه، وعظم الحقّ في نفسه، هان عليه الباطل، وهانت عليه شهواته وملذّاته.

- ورد عن الإمام الصــادق عليه السلام قوله: «**يا فضيل، أتجلسون وتتحدّثـون بالرِّقـة أو بالرَّقة؟ (يعنـي بنواعيهم وهي هذه اللغـة الموجـود الآن عنـد أهـل العـراق وفيهـا رقـة، وفيهـا لطافـة، تبعـث الأسى والشجى في النفوس) قال بلى يا بن رسـول الله. قال أما أنّ تلك المجالس أحبُّها، فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا أهل البيت**».



- إنّ إقامة هذه الذكرى، إذا لم تكن إحياءً لأمرهم، فهي حجّة علينا، وبلاء علينا؛ لأنّنا بدل أن نخرج حينئذٍ من هذه المجالس، ودموعنا تتفجّر براكين ثورة على الظلم، فإنّنا نخرج لنسير مع الظالمين، ونمشي في ركاب الظالمين. حينئذٍ نعلم ألاّ قيمة للبكاء وخاصّة أنّ أهل الكوفة بكوا على الحسين، بعد أن نفّذوا جريمتهم.

- إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد إحتلّت مكانتها في قلب الخلود. وستبقى ما بقي هذا الوجود، تسير مع الإسلام جنباً إلى جنب؛ لأنّها قد احتضنت أهداف الإسلام، وكان الإسلام يومذاك في أشدّ الحاجة إليها. وإذا كان الإسلام بالنظر إلى الأديان خلاصتها، كان الإمام الحسين عليه السلام بالنسبة إليها ضمانتها.

ثورة الإمام المهديّ عجل الله فرجه امتداد للثورة الحسينيّة:

- يزول الإستغراب، عندما نجد في التاريخ أنّ المهديّ عجل الله فرجه يعلن ثورته، ويجعل شعار ثورته «**يا لثارات جدّي الحسين**»؛ ذلك لأنّ ثورة المهديّ، هي الفصل الأخير من فصول ثورة الحسين عليه السلام. لذلك يعلنها في مكّة، ويفجّر الثورة من كربلاء، حيث أُريق دم النبوّة فيها.

- إنّها حلقة في سلسلة، فكذلك لو لم تخرج فاطمة خلف أمير

المؤمنين، تلك الخطوات من الدار إلى المسجد، لتنقذ وليّها، لما خرجت زينب بعد ذلك، مع الإمام الحسين عليه السلام، وبعد الإمام الحسين عليه السلام من كربلا إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، وهكذا من بلد إلى بلد.

- كما أنّه قد آن للمسلمين عامّة، لا للشيعة فقط، أن يتّصلوا بالحسين عليه السلام اتصالاً عقائديّاً، لا إتصالاً عاطفيّاً، بأن يستعيدوا إلى أذهانهم وأفكارهم ذكرى عاشوراء، ليأخذوا من معطياتها - وما أكثرها! - الدروس والعبر، وأن يجنّدوا من هذه الذكرى، روحاً حسينيّة تقودهم في محنة فلسطين، وتخوض بهم في ساحات معارك الشرف، التي خاضها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، لأنّه يجب على المسلمين أن يكون لهم في كلّ قطر مسلم، حسينٌ جديد إذا تعرّض ذلك القطر لكربلاء جديدة.



هجرة الإمام الحسين عليه السلام امتداد لهجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

- لقد خرج الإمام الحسين عليه السلام بأهله من المدينة إلى مكّة خوفاً من آل أبي سفيان وأعوانهم، وخرج جدّه محمّد من مكّة إلى المدينة خوفاً من أبي سفيان وأعوانه. وبين الخروجين ستون عاماً وانقرض مجد أبي سفيان على يدي محمّد بفتح مكّة في بضع سنين، وانقرضت دولة أبي سفيان على يد

ولده في أقلّ من ثلاث سنين، وقامت على أنقاضها الدولة المروانيّة، وانقرضت هي الأخرى في أقلّ من ستين عاماً، وأراح الله العباد والبلاد من ظلمهم وجورهم.

- خرج بالنساء والأطفال، ولو لم يخرج بهنّ لما حصل السبي والتنكيل، بدون ذلك لا يحقّق الهدف الذي أراده وهو القضاء على دولة الظلم، وكشف القناع الذي تستّرت به لخداع البسطاء من الناس بأنّ الدولة الأمويّة دولة مسلمة، ولولا الخروج بزينب وأخوات زينب، لما تسنّى لها أن تقف في مجلس ابن زياد وفي مجلس يزيد لتبيّن للرأي العامّ مبلغ عتوّ القوم وظلمهم، ولما تسنّى لها أن تصبّ اللعنات على بني أميّة على رؤوس الأشهاد. ولا قيمة للتضحية إذا لم تولد العطاء، ولقد أسفرت تضحية الحسين عليه السلام عن أكبر العطاء بخروج النساء، فكان من معطياتها إقتلاع عرش الأمويّين وإيقاظ النفوس لإتّباع الحقّ.

- أدوار أهل البيت عليهم السلام

- لقد سكت الإمام عليّ عليه السلام في بداية الأمر حرصاً على وحدة الكلمة، ولكنّه في الوقت نفسه كان يمنح الرسالة والقائمين عليها صواب الرأي، ونبّه الغافلين إلى مركزه من الدعوة إحتفاظاً بحقّه.

- تجد حياة الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ حافلة بالدعاء وتوجيه المجتمع المسلم إلى الله، والظرف الذي عايشه الإمام السجّاد من أشدّ الظروف قساوة ومن أجمعها للحوادث والكوارث على المسلمين عامّة وعلى أهل البيت خاصّة... والدعاء خير وسيلة لنشر تلك المثل وبثّ الوعي الدينيّ في النفوس حيث أوشكت في ذلك الجوّ المظلم أن تزول معرفة الحقّ من قلوب الناس، ولم يبق للدين أثر إلاّ في أفواههم وعلى ألسنتهم...

- مشى أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع الدين جنباً إلى جنب يحوطونه بالحماية بما يتّسع له صدر الزمان، فهذا الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ملأ حياته بنشر علوم الرسالة عن طريق الحديث ومناظرة أهل البدع وأهل المذاهب الفاسدة التي مهّدت لها تلك العصور المظلمة على ألسنة بعض الشيوخ الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم. هكذا ينتقل الدور إلى الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ساعدته الظروف على نشر العلوم والمعارف من شتّى النواحي، فلقد كان عصره عصر العلم، والناس يومذاك قد وجدوا من نفوسهم الإستعداد الكامل لتلقّي العلوم من مدرسة الإمام، والناس وإن تمكّن حبّ الدنيا من نفوسهم لكنّ العلم تبقى له مكانة في تلك النفوس، وهو غير موجود عند أولئك الذين تخلّفوا على المسلمين.



- والحاصل أنّ دور الأئمّة عليهم السلام على الرغم من إقصائهم عن الحكم كان دوراً مشتركاً في حماية الرسالة والعقيدة، وكانت الحالة عند البعض منهم تُؤدّي إلى الإصطدام المسّلح في سبيل حمايتها، كما تمّ للإمامين عليّ والحسين عليهما السلام، والإمتناع عن الإصطدام المسلّح من قبل الآخرين لإمتناع الظروف عن تحمّلها لمثل هذا الإصطدام، ولكنّ موقفهم وإن اتخذ الطابع السلبيّ إلاّ أنّه بصورته السلبيّة كان يعطي ثمرة العمل الإيجابيّ من حيث إنّ موقفهم في حالتي الإصطدام والمهادنة كان يعكس تعاليم رسالة الإسلام ويؤكّد للرأي العامّ انحراف الحاكمين عن تلك التعاليم، وهذا هو أكبر همّهم.

- وجواب الإمام الصادق عليه السلام للمنصور لما استدعاه هذا الأخير للإتصال به أسوة بغيره من الشيوخ، فيه كلّ الدلالة على قوّة لا تتزعزع في معارضة صلبة للحكم القائم إذ يقول له «**إنّ من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك**».

- وانظر إلى قول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهارون العبّاسي «**أنت إمام الأجسام، وأنا إمام القلوب**».

- إنّ مهمة الأئمّة في جميع أدوارهم مدّ الرسالة الإسلاميّة بالحياة وحمايتها من الإنحراف ليبقى لها أثرها الطبيعيّ

ممتداً عبر الأجيال، وهذا المعنى لا يكفي فيه القيام بثورة مسلحة؛ ذلك لأنّ ترسيخ الحكم الصالح في الأرض يحتاج إلى إعداد جيش عقائديّ يؤمن بالإمام إيماناً مطلقاً يكون فيه دعامة للحكم الصحيح ويحقّق للثورة القائمة مكاسبها.

- الحضّ على التديّن

- فما على المسلمين في هذا الجوّ المشحون بالغيوم، إلاّ أن يستعيدوا إلى أذهانهم، صورة حيّة من صور هذه الذكرى، ويستفيدوا من معطياتها، لخوض المعركة مع العدوّ الذي اعتدى على مقدّساتنا، واستلب منّا حريّتنا وكرامتنا. علينا أن نخوضها معركةً فاصلة بالعرق والدم والسلاح، مع العدوّ الغادر الذي لا يعرف السلام القائم على العدل، والحريّة والمساواة. والمسلمون اليوم، يطالبهم دينهم في شتّى بقاع الأرض أن يكونوا أقوياء، وأن يحاربوا مواضع الضعف من نفوسهم، حتّى لا يهنوا ولا يستسلموا ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].
- ونخوض معركة المصير ضدّ أعداء الله والإنسانيّة، أن يهاجر كلّ منّا إلى نفسه ويسألها ماذا قدّمت لخوض هذه المعركة؟ وبماذا ضحّت في سبيلها؟ علينا أن نأخذ من معطيات هذه

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

الذكرى، ما ينفعنا في حياتنا الحاضرة. والجدير بالمسلمين اليوم، أن يمثّلوا نفس الدور الذي مثّله أولئك، بالفناء في ذات الحقّ الذي ترجموه إلى أعمال قائمة على الوفاء لدين الله، وأن تعيش تلك المبادئ والقيم في نفوسهم وأفكارهم، ولا سيّما وهم يخوضون معركة المصير ضدّ أعداء الله والإنسانيّة.

- أمامك أيّها الشابّ طريقان: طريق الخلود والبقاء، وطريق الزوال والفناء. والشباب الواعي سوف يجعل من الإمام الحسين عليه السلام قدوة صالحة فلا يختار غير طريق الحسين، طريق الحقّ والعدالة والعزّة والكرامة، وأمّا الشباب الذي لا يفكّر بأكثر ممّا تمليه عليه ملذاته وشهواته فقد آثر أن يسلك طريق يزيد.

- إنّ حادثة الطفّ مدرسة تخطّ للأجيال المتعاقبة نهجاً وحبّاً يعمره الإيمان الصادق وتتمثّل فيه قصّة هي رمز للبطولة والإباء لا تجد لها مثيلاً في تاريخ الأبطال الأباة، فقد أخرجت للناس نموذجاً فريداً في عالم التضحية، تلك التضحية التي خرقت بمعجزاتها سنّة الحياة وقلبت سلّم التطوّر وراحت تهزأ بالخطوب وتسخر بالحياة إذا ساد فيها الظلم وانتشر الجور.

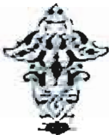
- الجهاد ومواجهة الأفكار الإلحاديّة والمنحرفة

- الآن نحن نستطيع أن نرحل مع الإمام الحسين عليه السلام، ونكون معه، إذا تمثّلنا ثورة الإمام الحسين عليه السلام في أفكارنا

وقلوبنا، وعملنا بمغزاها ومرماهــا. ولا نقتصر على الدموع، وعلى البكاء، بل إنّ هذه الدموع يجب أن تكون ثورة على الظلم والظالمين.

- والله إنّــك إن تنكّبت طريـق الإمام الحسيـن عليه السلام، وسرت فـي غيـر طريق الإمــام الحسين عليه السلام، تكون كمــن هدر دم الإمــام الحسين عليه السلام؛ لأنّ الإمــام الحسين عليه السلام دمه غالٍ أيّها المسلمـون المؤمنون. الإمام الحسين عليه السلام سقى الحقّ بدمه. فلا تضيّعوا هذا الدم فتتركوا الحقّ.

- أنظروا، الخطـر أحدق بكم، خاصّة أنتم أيّهــا الشيعة أحدق بكــم. والله لا خلاص لكم، ولا نجاة لكــم، ولا مستقبلَ زاهراً لكــم، إلاّ أنّ تتّصلــوا بالإمام الحسيــن عليه السلام وتستظلّوا بظلّ نظام محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.



- فإذاً نحن في هذا الزمان، مدعوّون لأن نكون من جند الحقّ. ومــا هــذه المجالــس إلاّ محاولة مــن المحــاولات، لأن نجنّد منهــا روحاً حسينيّة تقودنا في محنتنــا، وفي ساحات معارك الشــرف، التــي يقف فيها الحــقّ في وجه الباطـل. فإذاً نحن نستطيع الآن أن نكون جنوداً للحسين بالمحافظة على ما بذل الإمام الحسين عليه السلام دمه في سبيله.

- لا تنظــروا إلــى الدين من زاويــة المتديّنين، فــإنّ المتديّنين شــيء والديــن شيء آخر، مــن أين عرفت الديــن حتّى رميته

بجهلك؟ لا تنظر إلى الدين من زاوية المصلّين والصائمين، تقول يصلّون ويصومون ويكذبون ويفعلون المنكرات. هؤلاء ما صلّوا ولا صاموا، وليس العيب في الصلاة، إنما العيب في المصلّين.

- الله أقام لك أيّها الإنسان حفلة تكريم بين ملائكته المقرّبين وأمرهم بالسجود لك، فلماذا تلوثّ شرف إنسانيّتك؟ لماذا تمرّغ كرامتك بوحل الأرض؟

- كلمة (الله أكبر) تحمل صرخة عالية في وجه كلّ متكبّر بأنّ الله أكبر منه، كلمة (الله أكبر) تنفخ فيك روح العزّة والكبرياء والكرامة، فلا تكون عبداً، ولا مستعمَراً، ولا مذنباً، لا تركع إلا لله، ولا تحني هامتك إلا لله.

- يقولون إنّ الدين قيد. هو قيد لأي شيء؟ قيد لحيوانيّتك، حتى لا تنجرف مع الهوى، وتتملّكك الرغبات. هل هو قيد للإنسانيّة؟ إنّه ما جاء إلاّ ليدعم الإنسانيّة، التي تأبى عليك أن تنجرف مع الهوى.

- فكّروا أنه ما انتشر الفساد، وما عمّ الظلم إلاّ بالبعد عن الله. عندما يبتعد الإنسان عن الله وعن ذكر الموت فإنّه يصدر عنه كلّ شيء. كلّ شيء يرقى إليه الشكّ إلاّ الموت..

- الآن أنت عندما تمشي وراء واحد من هؤلاء الذين تزعّموا

الشارع اليوم، أنظر ما هي غايته، هل صحيح أنّه طالب حقّ؟ هل صحيح أنّ قلبه محروق على الشعب كما يدّعي؟ نحن نطالبكم بأن يكون لكم الوعي الكافي فتحاسبوا، ولا تنحرفوا وتنجرفوا وراء عواطفكم، فكّروا قبل أن تنقلوا أقدامكم.

- لِمَ ذهبتم من بين أيدينا ؟ لِمَ تنكّرتم للدين؟ ما الذي وجدتموه في الدين؟ تعالوا نجلس على طاولة.

- لقد جاء الإنحراف اليوم، ودخل البيوت، بإسم الثقافة، بإسم الحضارة، وهي حضارة ماديّة، ولكن أين أصبح الإنسان في ظلّ هذه الحضارة ؟ هل حفظت لك هذه الحضارة أمنك واستقرارك أيّها المسكين؟

- إنّ ما نشهده اليوم من إنعدام الأمن والإستقرار، ما هو إلاّ نتيجة لما جاءتنا به الحضارة الغربيّة، وهي فوق ذلك، ما جاءت إلاّ لتقضي على دينك، وعلى ارتباطك بالله؛ لأنّك ما دمت مرتبطاً بالله فلن يقووا عليك. هم أضعف ما يكونون في جنب الله.

- هذا إذا كان المعلّم مستقيماً. ولكن تعال وانظر إذا كان شيوعيّاً، لقد نُقل إليّ أنّ أحدهم يأتي إلى التلميذ ويعده بترفيعه في الإمتحان إذا صار شيوعيّاً.



- إنّني أقول لكم الآن، إنّ القريب العاجل سوف يكشف لكم عن حقيقة هـذه الأحزاب، وحينئذٍ ستعيشـون نقطة تحوّل، قهراً عنكم، شئتـم أم أبيتم. ولا أريد أن أفضي الآن بما عندي من المعلومات الجديدة.

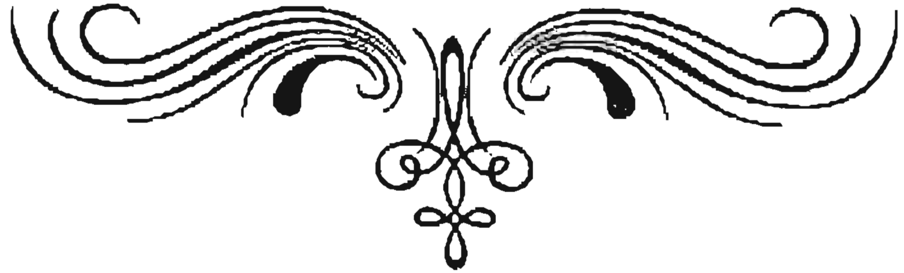
- لقـد تبدّلـت المقاييس في هذا اليـوم بإسم المدنيّـة، بإسم الثقافة، بإسم الحضارة، أنظر إلى هذه الألفاظ الحلوة كيف يستغلّونها، كما جاءوا فـي العراق يوماً بإصطلاح «**الإصلاح الزراعـيّ**» ونفّـذوا من خلالـه ما أرادوا : ههنـا أيضاً مدنيّة، ثقافة، حضارة، ليخدعوا البسطاء.

- إنّ نصـرة الحـقّ لا تقتصر على ميادين الجهـاد، حيث تدور المعركـة بيـن المسلميـن وخصومهـم، وإنّمـا تتعدّاهـا إلى حياتنـا اليوميّة وأعمالنا في بيتنا، ومع إخواننا، ومع المجتمع مـن حولنا. لأنّنا إذا لم نجاهـد الباطل في نفوسنا، ونستنكر الظلم فـي نفوسنا، وإذا لم ينتصر الحـقّ في داخل نفوسنا، فلا يمكن أن نلبّي دعوة الحقّ في ميادين الجهاد .

الفصل السادس



مختارات من خطبه ومقالاته





خطبة حول:

الثورة الحسينيّة امتداد للدعوة المحمديّة[1]

فيا أيّها الوترُ في الخالدين ... فذّاً إلى الآن لم يشفعِ
ويا عظةَ الطامحينَ العِظامِ ... للاهين عن غدِهم قُنَّعِ
تعاليتَ من مُفزع للخطوب ... وبورك قبرُك من مفزعِ
تلوذُ الدهورُ فمِنْ سُجَّدٍ ... على جانبيهِ ومن رُكَّعِ
شممتُ ثراكَ فهبَّ النسيمُ ... نسيمُ الكرامةِ من بلقعِ
وعفَّرتُ خدّي بحيث استراح ... خدٌّ تفرّى ولم يضرعِ
تمثلتُ يومك في خاطري ... وردّدتُ صوتك في مسمعي
وماذا أروعُ من أن يكون ... لحمُك وقفاً على المبضعِ
وأن تتقي دون ما ترتأي ... ضميرك بالأسل الشُرَّعِ
وان تطعمَ الموتَ خيرَ البنين ... من الأكهلين إلى الرضَّعِ
وخيرَ بني الأمِّ من هاشمٍ ... وخيرَ بني الأبِ من تُبَّعِ[2]

(١) آخر خطبة حسينية له، ألقاها في مسجد الغبيري يوم ١٠ محرم ١٤٠١ هـ الموافق لعام ١٩٨٠ م أي قبل شهر من رحيله.
(٢) مقطع من قصيدة للشاعر العراقي الجواهري.

الإمام الحسين عليه السلام معجزة الأجيال، الإمام الحسين عليه السلام معجزة محمّد صلى الله عليه وآله، الإمام الحسين عليه السلام معجزة القرآن، الإمام الحسين عليه السلام معجزة الدين، ولك أن تقول إنّ معجزة الدين هي القرآن، ولكن أقول لكم ثقوا أنّه لولا الحسين، لم يكن هناك قرآن، ولا سمعت ذكراً لمحمّد، ولا ذكراً للدين، بل ولا ذكراً لله في الأرض.

يحقّ لنا بهذه المناسبة أن نفتخر، وأن نعتزّ بالإنتماء والولاء للحسين عليه السلام. يحقّ لنا أن نرفع رؤوسنا عالياً، لا أن ننتظر بهذه المناسبة، الإقتصار على البكاء والنحيب. فإن البكاء المجّرد الذي لا يدفع إلى العمل، ولا يتفجّر ثورة على الظلم والظالمين، الإمام الحسين عليه السلام نفسه يبرأ منه.

أيّها الإخوة، قد تستغربون أن يكون هذا اليوم جديراً بالإعتزاز والتقدير والفرح، بهذا الإنتماء، حتى ولو كان هناك بكاء، ولا عجب لأن من البكاء ما يكون فيه العزّ والفخر للباكي، حيث يبكي على مثل الحسين عليه السلام؛ ذلك لأنّ الإنسان، قد يبكي عندما يتعرّف على الحقّ، كما قصّ الله تعالى من أمر بعض أهل الكتاب، حيث قال عزّ من قائل ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[1].

أيّها الإخوة، إنّ موقف الحسين عليه السلام أعاد للإسلام عزّته وكرامته وأعاد لمحمّد صلى الله عليه وآله وجوده. ولا شكّ بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد عبّر عن

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٣.



ذلك أحسن تعبير، عندما قال(حسين منّي وأنا من حسين، أحب الله من أحبّ حسيناً). النبيّ ﷺ أعدّ الإمام الحسين عليه السلام لرسالة مستقبلة، تشابه رسالته الحاضرة، عندما أطلق هذه الكلمة، ومعنى هذه الكلمة أنّ الحسين عليه السلام يتمثّل بوجوده وجود جدّه، بمعنى أنّ للحسين وجودين: وجوداً قائماً في ذاته، ووجوداً قائماً في النبيّ محمّد ﷺ. كما أنّ للنبي وجودين: الوجود الأوّل وجوده في ذاته، والثاني وجوده بسبطه الحسين عليه السلام.

وعندما قال النبيّ ﷺ (حسين منّي) لا يعني أنّه من محمّد الشخصيّ، وإنّما يعني أنّه من محمّد الرسول. يفسرّه قوله (وأنا من حسين) لأنّ الولادة من الجانبين ولادة روحيّة لا ولادة جسميّة. ومعناه أنّ النبيّ ﷺ رأى أنّ في الإمام الحسين عليه السلام امتداداً لوجوده وامتداداً لرسالته. النبيّ لم يقل حسن منّي وأنا من حسن، فلو كان يعني الولادة الجسميّة لما إختصّ الإمام الحسين عليه السلام بهذه الولادة، إنّما أشار النبيّ، إلى أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام ستعيد للدين وجوده، وإذا عاد الدين إلى الوجود، عاد محمّد إلى الحياة من جديد؛ لأنّ حياة العظماء بحياة مبادئهم، لا بحياة أشخاصهم. ولذا يولد الإنسان مرّتين: المرّة الأولى عندما يكتحل بمرآة الوجود، والولادة الثانية عندما يزدهر الوجود.

يحقّ لنا أن يهنّئ واحدنا الآخر بهذه المناسبة، ولعلّك تستغرب، أقول إنّ ذلك السيّد القزوينيّ - رحمه الله - أشار إلى هذه الظاهرة

حيث قال بهذه المناسبة:

أبا حسنٍ يهنيكَ ما أصبحوا بهِ وإن كان للقتلى تُقامُ المآتمُ

لأورثتهم مجداً وما كان حبوةً ولكنّ رسماً في بنيكَ المكارم

أيّها الإخوان. قضت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن يخصّ أهل الأرض بفيض من وحيه. وعائدة هذا الوحي وفائدته، إنما تخصّ الإنسان دون سواه، فكانت الرسالات. وانتهى أمر الرسالات إلى الإسلام، وقد خُتمت الرسالات بالإسلام. ولقد قُدِّر لرسالة الإسلام أن تنتظمها حلقة من الإمامة، يتمثّل دورها بعليّ وبنيه، فإذاً الإمامة جزء مكمّل للنبوّة. ولا شكّ بأنّ هذه الإمامة إنّما قدّرت وفُرضت من العهد الأوّل الذي منحته الرسالة لأبي الأنبياء إبراهيم عندما قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1].

هذه الإمامة قد انتظمت رسالة النبوة منذ العهد الأوّل، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام جزء من الرسالة كإمامته. فالحسين عمدٌ من أعمدة الرسالة، وشهادته جزء متمّم للرسالة كإمامته. ولك أن تقول وكيف ذلك؟. أقول إنّ الله سبحانه وتعالى لمّا أمدّ الأرض برسالات السماء بسخاء، أراد من أهل الأرض أن يقدّموا بين يدي الرسالة الفداء؛ لأنّ الرساليّة لا تستقرّ، ولا تأخذ مكانها في الأرض، إلاّ بتضحية تشابه في العمق، عظمة الرسالة. ولذلك ينبغي أن يقدّم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

أحبّ خلقه إليه تضحية بين يدي رسالته لكي تستقرّ وتدوم.

فإذاً، الحسين عليه السلام عندما أحبّه النبيّ، ونفحه بتلك الكلمة القيّمة، إنّما يعني أنّ الحسين عليه السلام هو المدَّخر لأن يقدّم من التضحيات ما لم يقدّمه أحد من الأنبياء. وإذا كان لكلّ نبيّ شهيد، ولكلّ رسالة ذبيح، فإنّ معركة كربلا قد قدّمت للدين أكثر من شهيد واكثر من ذبيح.

ولذلك لم تعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة شخصيّة فرديّة، لكي يقال انتهى زمانها، ومضى دورها، لأنّها ارتبطت بشيء فانٍ، الإنسان إذا كانت حياته في سبيل ما لا ينتهي، فستدوم له الحياة. أمّا إذا كانت حياته في سبيل ما ينتهي، فلا شكّ بأن حياته تنتهي بإنتهاء ما أوقف حياته عليه. فالحسين حيث ضحّى في سبيل الدين، فقد ارتبطت ثورته بالدين، ولذلك ستبقى ثورته، وستستمرُّ ثورة في النفوس على النفوس لتهذيبها، وثورة على الظلم لإزالته من الوجود.

ولذلك لن تنتهي أهداف ثورة الحسين، ما دام في الكون حقّ وباطل، وما دام في الكون ظالم ومظلوم، وما دام في الكون فقير وغنيّ وطريد، فإنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام تبقى قائمة في النفوس والأفكار والعقول، ولا ينتهي دورها إلاّ بأن تختفي هذه الظواهر من الوجود. ولن تختفي هذه من الوجود، إلاّ بخروج مهديّ آل محمّد عجّل الله فرجه. وحينئذٍ تنتهي، ولا نقيم عاشوراء بعد ذلك، لأنّ رسالة الإمام الحسين عليه السلام تكون قد حقّقت أهدافها، وحيث تحقّق ثورة الإمام

الحسين عليه السلام أهدافها فحينئذٍ لا يبقى لها محلّ من الوجود.

ولسوف يبدأ محمّد الأخير دوره، من حيث انتهى دور محمّد الأوّل، لأنّه هو المدّخر لإقامة موازين الحقّ والعدل، كما نصّت على ذلك الآية الكريمة ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[1]. وظهور الدين الإسلاميّ على الأديان كلّها، لن يكون إلاّ بمهديّ آل محمّد.

ومن هنا يزول الإستغراب، عندما نجد في التاريخ أنّ المهديّ عجل الله فرجه يعلن ثورته، ويجعل شعار ثورته (يا لثارات جدّي الحسين)؛ ذلك لأنّ ثورة المهديّ، هي الفصل الأخير من فصول ثورة الحسين عليه السلام. لذلك يعلنها في مكّة، ويفجّر الثورة من كربلاء، حيث أُريق دم النبوّة فيها.

إذاً، ما فائدة إقامة هذه الذكرى بالنسبة إلينا؟ إنّ فائدتها تعود إلينا بأن ننظر إلى أنفسنا كمسلمين، ولا سيّما في هذا اليوم، حيث آن لنا ونحن نمرّ بمرحلة من أقسى مراحل الحياة أن نتّصل بالحسين اتصالاً عقائديّاً، لا عاطفيّاً، بأن نستعيد في أفكارنا ذكرى عاشوراء، فنأخذ من معطياتها، وما أكثرها!، نأخذ الدروس والعبر. وأن نجنّد من هذه الذكرى روحاً حسينيّة، تقودنا في محنة فلسطين، وتخوض بنا في ساحات معارك الشرف، التي خاضها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه. تخوض بنا في معركتنا الإسلاميّة اليوم

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

حيث تعلمون. علينا أن نجنّد من هذه الذكرى، روحاً حسينيّة، تدفعنا إلى العمل من أجل الدين، ومن أجل الدين وحده، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما كان فداءً لهذا الدين.

ولعلّك تتساءل: أنّه ما أُنزل الدين، إلاّ لخير الإنسان وسعادة الإنسان، وكل ما في الكون هو لخير الإنسان، ومصلحة الإنسان، فلماذا يُطلب من الإنسان أن يضحّي في سبيل الدين؟ إذا كان كلّ شيء في الوجود لأجل الإنسان، فلماذا يضحّي الإنسان بنفسه في سبيل الدين؟ نقول: إنّ الدين إنّما أُنزل إلى الأرض من أجل كرامة الإنسان وسعادة الإنسان، فإذا تعرّض الدين للخطر، فقد تعرّضت كرامة الإنسان وسعادته للخطر، وحينئذٍ يدور الأمر بين أن يعيش الإنسان في الحياة بلا سعادة وكرامة، أو يموت في سبيل عزّته وكرامته. والإنسان الذي يحافظ على خصائص إنسانيّته، يرى أن الموت خير ألف مرّة مع العزّ من الحياة مع الذلّ.



إنّ ذكرى الإمام الحسين عليه السلام تطوّرت مع الأيام، وسيعيها الجيل الآتي أكثر مما وعاها جيل اليوم، وستستمرّ وتستمرّ حتى لا يكون لغير مبادئها في الأرض سلطان، علينا أن نحافظ على هذا الدين الذي دعانا الحسين عليه السلام لنصرته، عندما أعلنها صرخة مدوّية يوم عاشوراء، حيث طلب الناصر، والحسين لم يطلب الناصر لتسلّم له الحياة، الإمام الحسين عليه السلام ما جاء إلى كربلاء لتسلّم له الحياة، وإنّما أراد أن تسلّم لدين جدّه الحياة.

إنّما أرسلها صرخة مدوّية عبر الأجيال، ليدعونا إلى نصرة المبدأ الذي نصره وضحّى في سبيله، وفداه بدمه، وتلك الدماء الزكيّة من أهل بيته وأصحابه، التي سقى بها أرض كربلا، والتي لا تزال طريّة، تهيب بالمسلمين إلى الحفاظ على الدين، وإعلاء كلمة الحقّ في الأرض.

أيّها المؤمنون، أيّها الإخوة، نحن في هذه المناسبة أحوج ما نكون لأن نتفهّم مغزاها ومؤدّاها. الحسين عليه السلام جاهد إلى آخر قطرة من دمه، وفصلوا رأسه عن جسده، وكأنّه يُراد للرأس أن يؤدّي دوره منفصلاً عن الجسد أيضاً. لقد قدَّم الرأس في الكوفة وفي الشام، مظاهرة شعبيّة تلتها ثورة فكريّة. يحدّثنا زيد بن أرقم أنّهم حين أدخلوا السبايا إلى الكوفة (مرّوا بدار كنت في روشن فيه، فلما حاذاني الرأس سمعته يتلو هذه الآية ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[1]. فضربت رأسي بالروشن فقلت: يا بن رسول الله، رأسك والله أعجب وأعجب). وكذلك ظهرت له معجزات باهرات، في الطريق وفي الشام أيضاً.

وإنّما كان الغرض من هذا الفصل المقدّر في علم الله سبحانه وتعالى، أنّه جاء الرأس إلى الشام، ليعلم طغاة أهل الشام، بأنّ تلك المصاحف التي رُفعت يوم صفين، ما كان الغرض منها إلاّ أن يُرفع رأس الحسين عليه السلام. بعد عشرين عاماً جاء الرأس ليفهمهم، لأنّهم

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

لم يفهموا يومذاك، ولم يسمعوا كلمة الإمام أمير المؤمنين بأنّها كلمة حقّ يراد بها باطل. جاء الرأس ليفهمهم أنّ الغاية من حمل تلك المصاحف هي حمل رأس الحسين عليه السلام. ولقد أشار إلى هذه الظاهرة الأزريّ رحمه الله بقوله:

حملتْ بصفين الكتابَ رماحُهم ليكون رأسُكَ بعدها محمولا

لو لم تَنَلْ أحقادُ حربٍ منك ما جرأ الوليدُ فمزّق التنزيلا

إنها حلقة في سلسلة، فكذلك لو لم تخرج فاطمة خلف أمير المؤمنين، تلك الخطوات من الدار إلى المسجد، لتنقذ وليّها، لما خرجت زينب بعد ذلك، مع الحسين، وبعد الإمام الحسين عليه السلام من كربلا إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، وهكذا من بلد إلى بلد. أشار الشاعر إلى هذه الظاهرة فقال:

قد ورثتْ من أمّها زينبُ كلَّ الذي جرى عليها وصار

وزادت البنتُ على أمّها من دارها تُهدى إلى شرّ دار

إذاً حلقات مستمرّة في سلسلة معركة الحقّ والباطل، وستبقى ثورة الإمام الحسين عليه السلام قائمة وستنتشر وتنتشر وتتّسع، بمقتضى الحديث الوارد عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، حيث إنّ النبيّ أخبر بما يجري على الحسين.

يقول التاريخ: كان الإمام الحسين عليه السلام في حجر النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو طفل، فدخلت عليه أمّه فاطمة عليها السلام، فوجدت النبيّ يبكي

والحسين في حجره، فقالت له: يا أبه، ما يبكيك؟ قال: يا فاطمة عليها السلام، خرج من عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أنّ ولدي هذا، يُقتل في أرض من العراق، يقال لها كربلا. قالت: يا أبه، ومن يقتله؟ قال: شرار أمّتي، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة. ثمّ قالت: ومتى يكون ذلك؟ قال: في زمانٍ خالٍ منّي ومنك ومن أبيه ومن أخيه. قالت: إذاً فمن يقيم عزاء ولدي؟ قال: أبشري يا فاطمة عليها السلام، إنّ الله سيخلق له شيعة طاهرين مطهّرين، يقيمون له عزاءه عاماً بعد عام، وجيلاً بعد جيل، وسيجهد أعداء الله في محو ذلك، فلا يزداد إلاّ سموّاً وانتشاراً.

وهكذا نرى بأمّ العين، تصديق حديث النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو الصادق الأمين. هذه المجالس اتّسعت واتّسعت وانتشرت. وقلنا ستبقى ثورة الحسين، تغلي في النفوس، إلى أن يحقّق الأمل مهديّ آل محمّد.

أيّها الإخوان، يعزّ عليّ أنّ الوقت ضيّق ولم يبق من الوقت ما يتّسع للقول الذي أرتضيه، أيّها الإخوان، لا نرخّص دم الحسين، دم الإمام الحسين عليه السلام غالٍ، دم الإمام الحسين عليه السلام أزكى الدماء. الله قدّم لدينه أطهر ضحيّة وأزكى دم في الأرض، ومعاذ الله أن تكون ضحايا الدين غير قدسيّة، وغير زكيّة، إنّ الدين منذ القديم، قدّم الضحايا الكثيرة، ولكنّ الضحايا التي قدّمها سيّد الشهداء، هي أعظم وأعظم.

ولا شكّ بأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد ورث هذه التضحية، عن آبائه. بل في الحقيقة، حكى تضحية إبراهيم، عندما امتحنه الله، بأن يبذل ماله في سبيله فقدّمه، وبأن يضحّي بنفسه، فاستعدّ للتضحية، وبأن يذبح ولده، فاستعدّ لذبحه، ولكنّ السماء قد تدخلّت، في ذبح ولده إسماعيل، فقدّمت له الفداء. أمّا الحسين، فلم تتدخّل السماء بذبحه، حتّى كان بنفسه هو الفداء. لذلك يخاطبه الشاعر، ولا عجب فهذه الثمرة من تلك الشجرة:

الذبيحُ وليلى في التحمُّلِ هاجَرُ لأنتَ خليلُ اللهِ حقّاً ونجلُكَ

أيّها الإخوان، هذا اليوم هو الأخير، وأسأل الله أن يعيد علينا هذه الذكرى، والإسلام قد بلغ العزّة والمنعة، ببركة الثورة الإيرانيّة، إن شاء الله، بقيادة الخمينيّ، نسأل الله سبحانه وتعالى، أن ينصره بنصره. ولا شكّ بأنّ النصر لا يكون إلاّ من عند الله. ولكنّ الله يريد منّا قبل أن ينصرنا، أن ننصره وأن ننصر دينه.



ولذلك أيّها الإخوان، الإسلام ينتظرنا لنعمل، والمسؤوليّة تدعونا لنتقدّم انطلاقاً من واقع رسالتنا فنعمل بإخلاص، والحسين لا شكّ بأنه يطلّ عليكم، من عالم الخلود، فيطلب منكم الناصر لدينه. ونصرة الدين نصرة الحسين. فإنّكم إن فعلتم ذلك، كنتم جنوداً أمناء للحسين وللدين، مجنّدين في كتيبة الدين، وكنتم أنصاراً مخلصين لثورة الحسين عليه السلام. وعندئذٍ تكونون صادقين بقولكم عند سماع هذه الذكرى يا ليتنا كنّا معكم.

فيا أيّها المؤمنون، كونوا مع الإمام الحسين عليه السلام في الدينا، لتكونوا معه في الآخرة. ولبّوا دعوته لتكونوا مع من لبّى دعوته يوم كربلا، وقولوها كلمة صادقة مخلصة (لبّيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك، ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري).

ويشير إلى هذه الظاهرة، ابن أبي الحديد المعتزليّ حيث يقول:

فواحسرتا أن لم أكن في أوائلٍ من القوم يُتلى فضلُهم في الأواخرِ

فأنصرَ قوماً إن يكن فاتَ نصرُهم لدى الروعِ خطاري فما فات خاطري

الحسين عليه السلام معجزة الأجيال - قلت لكم في البداية -، حيّر العقول بثورته، والذين فهموا ثورته، واستطاعوا أن يحلّلوها التحليل اللائق بمكانتها، وعمقها هم المستشرقون.

مع كل الأسف، نحن اتّكلنا على الانتماء الظاهر، والولاء الظاهر. وما فتّشنا ببصائرنا، للنظر إلى جوهر القضيّة، وإن قضيّة الحسين عليه السلام تمثّل عظمة الثبات، وعزّة الإيمان، وجلال التضحية، إذا نفذنا إلى واقعها.

يريد منّا الإمام الحسين عليه السلام أن نتحلّى بهذه الأخلاق، ونتّصف بهذه الصفات. ولقد مشى الشيعة الأوائل على هذا النهج، واتّخذوا لنفسهم موقف الحسين عليه السلام، فوقفوا من كلّ حاكم جائر ظالم، موقف المعارض، بعلمائهم وببقيّة الشيعة من سائر الطبقات. ولا

زالـوا يقفون موقف المعارض لكلّ سلطة جائـرة، إلى أن تعمر الكون الرسالة الإلهيّة بنهج آل محمّد.

علينا ألاّ نسير في ركاب الظالمين. الآن كلّ منّا يستطيع أن يعرف نفسـه، هل هـو واقف في صفّ حبيب وزهيـر، أم هو في صفّ الشمر وعمر بن سعد؟ وذلك بأن يعرض نفسه على الدين: هل هو سائر في خطّ الدين؟ فـإذاً يكون في الحقيقة كحبيب وزهير، وإذا كان موقفه يصطـدم مـع الدين، فهو من حيث يريد أو لا يريد، في صفّ عمر بن سعد، وفي صفّ يزيد.

الحسيـن مـا حارب شخص يزيـد، لم تكن ثورة الإمـام الحسين عليه السلام إلاّ مظهراً من مظاهر الصراع بين الحقّ والباطل، وهو صراع مستمـرّ، ولم يكن صراعاً بين شخصيـن يتسابقان إلى عرش، وإنّما كان صراعاً بيـن مبدأين يتنازعان البقاء والخلـود. الإمام الحسين عليه السلام ما حارب يزيد، بل وقف في جه الظلم المتمثّل في يزيد.



وعلينـا نحن، شيعته بصورة خاصّـة، أن نقف من الظلم المتمثّل بـأيّ شخص، موقـف الإمام الحسين عليه السلام منـه، لا أن نسبّح بحمد الظالمين ونقدّس لهم.

مـا قيمة حضورنـا في مجلس الحسين، والبكاء علـى الحسين، ونحن نسيـر في خطّ معاكس لخطّ الحسيـن؟ قلت لك، الإمام الحسين عليه السلام يبرأ من البكاء المجرّد. لا تصدّق ما تسمعه من بعض القرّاء عمّن يخرج مـن عينه مثل جنـاح البعوضة مـن الدمع... نعـم، مثل جنـاح البعوضة

مع العمل.. هذه الدمعة يجب أن تفجّر في نفوسنا الثورة على الظلم والظالمين.

وأسأل الله التوفيق لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



خطبة حول:

حول معركة المبادئ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمّد، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين.

إليكم كلُّ منقبةٍ تؤولُ … إذا ما قيلَ جدُّكُمُ الرسولُ
وفيكم كلُّ مكرمةٍ تجلّى … إذا ما قيلَ أمُّكُمُ البتول
فلا يبقى لمادحكم كلامٌ … إذا تمَّ الكلامُ فما يقول

لا شكّ أن من يرجع إلى التاريخ، يجد واضحاً جليّاً، أن آل عليّ هم ميزان المجتمع وقادته وسادته. قد ورث كلّ واحد منهم الفضائل من معدنه، وأخذ المكرمات من مصادرها. وهذا الإرث الجليل قد هيّأهم لنصرة الحقّ والعمل في سبيله.

وهم لم يرثوا هذا الحقّ، ليستغلّوه لصالح أنفسهم، وإنّما كان في أيديهم حقّاً مشاعاً للناس، بحيث يكون لكلّ بيت من هذا الحقّ

نصيب. وفي حين كان الحقّ، الذي تمخّضت عنه رسالة الإسلام، من نصيبهم، كان الباطل الذي تمخّضت عنه رسالة الشيطان، من نصيب أعدائهم، ونعني بالأعداء هنا، الحزب الأمويّ.

وهكذا، فقد وقع الصراع من اليوم الأوّل، بين أهل البيت النبويّ، والحزب الأمويّ. ولذلك، لم تكن المعركة بين هذين البيتين، أو بين هذين الحيَّين، معركة شخصيّة، وإنّما كانت معركة مبدئيّة، وعلى هذا الأساس، ما كانت هذه المعركة لتقف عند هؤلاء الأشخاص، وإنما تعدّتهم إلى أشخاص آخرين، بمعنى أنّ الحقّ الذي ورثه البيت النبوي، بقي يمتدّ عبر القرون والأجيال، إلى الأبناء وإلى الأحفاد، بل وإلى الأتباع أيضاً.

وراية الباطل التي تسلّمها الحزب الأمويّ، أوّل من رفعها في وجه راية الحق، هو أبو سفيان بن حرب، وهكذا إلى يزيد. ومن ثَمَّ امتدّ الصراع إلى الأتباع من الجانبين.

فمعركة المؤمن مع خصمه في هذا اليوم، هي المعركة الأولى نفسُها، بلا فرق. من انتسب إلى راية الحقّ وإلى أهل الحقّ وسار على نهج عليّ وأبناء عليّ، هو في صراع دائم مع من سار في ركاب بني أميّة، وفي ركاب الباطل الذي يمثّلونه.

إنّه صراع مستمرّ، وإذا اندحر الباطل أحياناً، أمام ضربات الحق، فليس معناه القضاء على الباطل نهائيّاً. بل في النتيجة، يتحوّل الباطل من أرض إلى أرض، ليستجمع قواه، ولكن بعد أن يتمثّل بأشخاص آخرين.

إنّها أيضاً معركتنا اليوم نحن المسلمين، فحيثما حملنا راية الحقّ، فُرض علينا أن نسير دروب الجهاد، لنكون من أتباع أهل البيت بحقّ. ولا شكّ أنّ نصرة الحقّ لا تقتصر على معركة السلاح، بل إنّ لها ميادين أخرى.

وهذا يعني أنّنا يجب أن نصارع أوّلاً قوى الباطل والشهوات من أنفسنا، علينا أن نستنكر الباطل من أنفسنا وبالتالي نستنكره من غيرنا. يجب أن تقتنع النفس أوّلاً بالحقّ قبل أن تطبق مبادئه على الآخرين، وتدافع عنه في الخارج.

إنّ المؤمن لا يهمّه الإنتصار في المعارك، بقدر ما يهمّه أن ينتصر على نفسه، وأن يكون إلى جانب الحقّ. وليست العِبرة أن ينتصر في معارك السلاح. فقد ينتصر مبدأ الحقّ، دون أن يرافق ذلك إنتصار بالسلاح. بعبارة أخرى، إنّ مبدأ الحق قد ينتصر تحت ظلّ اللواء المغلوب، وليس من الضروريّ أن يبقى المؤمنون المنتصرون على قيد الحياة. إنّهم يريدون من معركتهم مع خصومهم، أن تنتصر كلمة الحقّ ولو على حساب أرواحهم ودمائهم.



وممّا يؤسف له، أنّ كثيراً من الشباب يظنّون أنّ الحسين عليه السلام قد أخفق في ثورته، ولم يحقّق الأهداف المطلوبة منها، لأنّه كان يريد أمراً فحال الموت دونه. إنّ هؤلاء يعتقدون أنّ الحسين عليه السلام قام ليأخذ السلطة من يزيد فعاجله يزيد وقتله وانتهى الأمر.

ونحن نقول لهؤلاء إنّ كلامكم يصحّ إذا كان الهدف من ثورة

الحسين عليه السلام، أن يصل إلى الملك والسلطان. لكن إذا قلنا إنّ الغرض من ثورة الحسين، هو القضاء على الفساد في الأرض، بمعنى القضاء على بني أميّة، وهو بيان أعمالهم للرأي العامّ، وكشف حقيقتهم، وافتضاح أمرهم. إذا قلنا إنّ الغرض هو ذلك، فلا شكّ أنّ الحسين عليه السلام قد حقّق أهداف ثورته، وها هم بنو أميّة، بعد ثورة الحسين عليه السلام، قد غدا سبّهم وبغضهم ولعنهم شعاراً للمسلمين الطيّبين، هذا هو المقصود.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو المنتصر، لأنه لولا ثورة الحسين عليه السلام، لما سمعت ذكراً للحقّ، ولا رأيت أثراً للدين. ولكن لو أنّ المسلمين استغلوا ثورة الحسين عليه السلام لصالح الدين، لا لمآرب شخصيّة، لما سمعت ذكراً للباطل على وجه الأرض أبداً؛ لأنّ الحسين عبّد الطريق إلى الحقّ على نحو يستطيع أن يسلكه كلّ أحد، كما زرع الأشواك في طريق الباطل. ولكنّ المسلمين من بعد الحسين، أساؤوا التصرّف، واستغلوا هذا المبدأ لمآرب شخصيّة، لا أقلّ ولا أكثر.

إذاً تلك معركة المبادئ، التي لا تسجّل انتصاراتها عن طريق الغلبة بالسلاح، كما أنّها تتجاوز حدود الأشخاص المتصارعين فيها، وها هو الحسين عليه السلام يؤكّد ذلك حين سجّل في وصيّته يوم خروجه، أنّ قبوله والسير في ركابه، إنّما هو طريق للسير في ركاب الحقّ، حيث قال: «**فمن قبلني بقبول الله فالله أولى بالحقّ**». وكأنه يقول: أيّها الناس لا تتّبعوني لذاتي، لأنّي الحسين بن عليّ عليه السلام،

إنّما تتّبعونني على أساس اتّباع الحق، لأنّي أنا القائم بالحقّ.

هؤلاء النفر الطيّب، وهم أهل بيت النبيّ ﷺ قد وضعوا الحقّ نصب أعينهم، ولم يكن لهم من همّ، سوى أن تبقى راية الحقّ عالية فوق رؤوس الخلق، أنظر إلى كلمة عليّ بن الحسين عليه السلام لمّا قال له أبوه الحسين عليه السلام: «**يا بنيّ عنّ لي هاتف يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير بهم إلى الجنّة**». قال «**يا أبه، أولسنا على الحقّ؟**» قال: «**بلى يا بنيّ، والذي إليه مرجع العباد**» قال: «**إذاً لا نبالي أن نموت محقّين**». ما أحسن الموت إذا كان في جانب الحقّ!.

وانظر إلى كلمة تلميذ مدرستهم عمّار بن ياسر «**سلام الله عليه**» في معركة صفّين، حيث قال «**والله لو ضربونا، حتّى يلحقوا بنا سعفات هجر، لعلمنا أنّا على الحقّ وهم على الباطل**». يعني نحن لا نرتاب إذا هزمنا وإذا غُلبنا، ولا يهمّنا ذلك ولو أدى إلى القتل ما دمنا إلى جانب الحقّ. ما أعظمها من كلمة حفظها لنا التاريخ!.

لقد حمل أهل البيت عليهم السلام راية الحقّ، ووقفوا ساهرين على حمايتها والحفاظ عليها، بقدر ما تسمح الظروف، وبقدر ما يتّسع صدر الزمان لنصرة الحقّ، بالثورة المسلّحة إذا ساعد الظرف عليها. وإذا لم يساعد الظرف، توجّهوا إلى سلاح آخر لنصرة الحقّ، ولو بمجانبة الظالمين والبعد عنهم، ليثبتوا للرأي العامّ، أنّ هؤلاء الذين يحكمون باسم الإسلام إنّما هم يحاربون الإسلام باسم الإسلام. وأقرب مثال على مجانبة الظالمين موقف الإمام زين العابدين عليه السلام.

أمّا الإمام الحسن، الذي لم تسمح له ظروفه بالثورة المسلّحة، فقد جرّد سلاحاً خاصّاً هو الصلح، ففضح به معاوية وبني أميّة قاطبة، وأثبت للرأي العامّ، أنّ بني أميّة قد ساروا في جاهليّتهم الحديثة، ينسجون على منوال جاهليّتهم القديمة. حتّى إذا وصل الدور إلى يزيد وطفح الكيل، فحينئذٍ أصبحت القضيّة لا تحتمل سوى الثورة؛ لأنّ يزيد قد أعلن الكفر صراحةً.

لقد كان ثمّ ستار رقيق يتستّر به معاوية، جاء الحسن فمزّقه بالصلح. لكنّ المسألة وصلت في عصر يزيد، إلى حدّ إعلان الكفر الصريح، لكن من يتكلّم؟ من الذي يثور في وجه هذا الكفر، ثورة محدّدة الأهداف بعيدة عن الأطماع والشوائب بحيث تستمدّ روحها من تعاليم الإسلام الصافية؟ لم يكن رجل الساعة إلاّ الحسين بن عليّ عليه السلام.

فانطلق الحسين عليه السلام جاعلاً رسالة الحقّ عنواناً لثورته كما تقدّم وحيث قال «**أفلا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟**».

ونحن اليوم، حيث كنّا أتباعاً لأهل البيت عليهم السلام، علينا أن نؤدّي رسالة الحقّ التي ورثناها، على أتمّ وجه، مهما تطلّب ذلك من البذل والتضحيات، وحينئذٍ يحقّ لنا أن نعتبر أنفسنا بحقّ، من شيعة أهل البيت عليهم السلام.

والحمد لله ربّ العالمين

الهجرة النبويّة والهجرة الحسينيّة

ليست الهجرة مجرّد انتقال من مكان إلى مكان، وإنّما هي انتقال من حال إلى حال، فالإنتقال من حال الحيرة الفكريّة، إلى اليقين الثابت هجرة. والانتقال من الشِّرْك إلى الإيمان هجرة. بل إنّ التغيّر الذي طرأ على مجتمع المدينة، من قبائلها إلى مكّة هجرة استعدّ من خلالها هذا المجتمع للقتال من أجل الدين.

وعلى هذا الأساس من المنطق، يمكننا القول بحقّ بأنّ ظهور الإسلام في جزيرة العرب هجرة إنسانيّة كاملة، من حياة الضلال والظلام، إلى حياة جديدة مليئة بالهدى والنور. بل إنّ الدخول في دين الإسلام هجرة. وبدأت هذه الهجرة في بيت النبوّة بالنبيّ وبزوجه خديجة، وأخيه عليّ. ثمّ انطلقت الهجرة من خارج بيت النبوّة، تعمل عملها في النفوس، فكانت إيذاناً للإنسانيّة بأنّ قوّة الباطل، مهما عظمت فمصيرها إلى الفناء، وأنّ الحقّ وإن طال عليه الأمد، فلا بدّ له من يوم تتبدّل فيه ضرّاؤه إلى سرّاء.

ولم تكن الهجرة هذه بدعاً، وإنّما هي سنّة الأنبياء من قبلها، من لدن إبراهيم إلى عيسى. فإبراهيم قال كما قضى الله من

أمره ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾[1]. ولقد هاجر إلى ربّه. وكذلك فعل موسى بعده. ومثلهما عيسى، هاجر فراراً من اليهود، وقد أرادوا الفتك به، فأيّده الله في هجرته.

ومثل هؤلاء فعل النبيّ بهجرته من مكّة إلى المدينة. وقد أذن الله له بالهجرة التي لم تكن إلى فراغ، فقد كان مجتمع المدينة مهيّأً لنصرة المسلمين، الذين تنقّلوا فيها من جهاد إلى جهاد. ومن هنا كانت الهجرة ميلاداً جديداً للإسلام. فقد غيّرت تاريخ العالم. إذ كان من آثارها، إنشاء دولة امتدّت من الأندلس غرباً، إلى أن دقّت أسوار الصين شرقاً.

ونستطيع أن نقول إنّه بتلك الهجرة من مكّة إلى المدينة، قد هاجر معه التاريخ بعصوره وأجياله، وأعدّ سجلّه المرقوم ليكتب أعمال المجد والخلود، لخير أمّة أُخرجت للناس. بل هي هجرة أهل السماء لأهل الأرض، لكي يهاجر أهلها إلى السماء باتّباع رسل السماء. ولذا عقد فيها روابط المحبّة عملاً وإنجازاً، بين قوم يحبّون من هاجر إليهم، فعاش الجميع في حياة وثيقة المودّة، محكمة الروابط تضرب الأقدار بسيف تقديرها. وقوّات العالم خاضعة لتسخيرها. والعدالة في الدنيا قائمة بتدبيرها.

وهكذا كما أضاءت مكّة ببعثته، وأشرقت المدينة بهجرته، فقد سُعدت الدنيا برسالته. فذكريات الهجرة تعيد إلى الأذهان طلائع

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٦.



الإيمان، متمثّلة في جند الرحمن. فلا بدع إذا كان يوم الهجرة أعظم أيّام التاريخ.

وإذا كانت الهجرة قد انقطعت بالفتح، أي فتح مكّة، كما قال «**لا هجرة بعد الفتح**» فتلك هي الهجرة إلى دار النبوّة. أمّا الهجرة إلى رسالة النبيّ، فهي قائمة إلى يوم القيامة. إنّها بواقعها، تعني كلّ هجرة في سبيل الحقّ، فإنّها هجرة إلى الله وإلى رسوله بهذا الإعتبار، كما تعني الآية ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

إنّ الهجرة هي الحدّ الفاصل بين الذلّة والعزّة، وبين الشكّ واليقين، وبين الرجس والطهر، قد غيرت مجرى التاريخ، فهي كما بدّلت الأرض كذلك بدّلت ديناً بدين، وفساداً بإصلاح، وفوضى بنظام. بل لولا الهجرة ما تجاوز الإسلام أطراف مكّة.

وحسب الهجرة أن ترى فيها مشهداً فدائيّاً لشابّ من شباب الإسلام، الذين تربّوا على الإيمان والتضحية، وعلى بذل النفس والنفيس لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. ألا وهو عليّ، الذي نام في فراش النبيّ فادياً إيّاه بنفسه، ومؤدّياً عنه الودائع التي عنده للناس، وفي ذلك ما يدلّ على أنّه لا يؤدّي عن النبيّ غير عليّ، ولا يملأ فراغ المكان الذي يجلس فيه النبيّ غير عليّ.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

ولقد فسّرت الأحداث هذا الموقف من عليّ، بما أحرزه الإسلام من انتصار، من قوّة وازدهار، وكلّها تلتقي مع معطيات الهجرة، التي سمعت بأنّها لا تعني الإنتقال من مكان إلى مكان، ولا من بلد إلى بلد. وإنّما تعني الإنتقال من وطن الملك إلى وطن الملكوت، ومن وطن الحسّ إلى وطن القدس، بل إنّها الانتقال من الكون إلى المكوِّن. وهل تتمّ فائدة الإنتقال، إلاّ حيث تنتقل النفس من شعور إلى شعور. فإذا سافر معك الشعور الأوّل فأنت مقيم لم تبرح.

وليس من باب الاتفاق، أن تقترن ذكرى هجرة النبيّ، من مكّة إلى المدينة، بذكرى هجرة الحسين، من المدينة إلى مكّة. ولئن اختلف مكان الهجرتين، فلم تختلف الغاية والهدف من وراء الهجرتين.

يهاجر النبيّ خوفاً على رسالته من أبي سفيان وأعوانه. ويهاجر الإمام الحسين عليه السلام من المدينة خوفاً على دعوته – قبل أن يصل بها إلى الهدف المنشود – من حفيد أبي سفيان. وبين الهجرتين ستّون عاماً.

وإذا كانت هجرة النبيّ من أجل رسالته، التي كانت تحتاج إلى أرض تستطيع فيها الوقوف على أقدامها، لتنطلق منها إلى بناء المجتمع بناءً إسلاميّاً، وإذا كانت هجرة النبيّ من أجل حماية العقيدة من كيد المشركين، فإن هجرة الإمام الحسين عليه السلام كانت من أجل صيانة تلك العقيدة من تلاعب الحاكمين بإسمها.

إذاً الهجرتان سلكتا خطّاً واحداً، ومسيرة واحدة، توصلان معاً

إلى الله وإلى إعلاء كلمته في الأرض، وتطبيق شريعته في كلّ بقعة حلّت أو تحلّ بها. لقد هاجر الإمام الحسين عليه السلام لينتقل بأمّة جدّه، وبرسالة جدّه، من أرض تهدّدها بالفناء، من حيث إنّ الإمام الحسين عليه السلام مهدّد فيها بالقضاء عليه، قبل أن تستوعب دعوته وصرخته أطراف الأرض وآفاق السماء، ومعنى ذلك أنّ ثورة الحسين، ببواعثها وأهدافها، لا يمكن فصلها عن تاريخ الدعوة التي صدع بها جدّه، كما يقضي بذلك الحديث «**حسين منّي وأنا من حسين**».

إذاً، ثورة الحسين عليه السلام قد ارتبطت بحركة الإسلام الأولى، ولا يمكن النظر إليها مجرّدة عن إطارها العامّ.

وهنا يبرز التساؤل: كيف ننظر نحن اليوم إلى ثورة الحسين؟ وماذا تعني لنا هذه النهضة؟.

إنّ الصورة التي نتمثّل بها الحسين، لا تعدو الحزن والأسى، لأنّنا نتمثّل الإمام الحسين عليه السلام في صورة المظلوم والمقتول، الذي يستحقّ الرثاء والبكاء. ولكنّ هذه الصورة بعيدة كلّ البعد عن الواقع الذي فتح الإمام الحسين عليه السلام عيوننا عليه، وأيقظ أفكارنا ومشاعرنا على حقيقته، عندما كان يطلق تلك الصيحات المتتالية يوم مقتله، ويطلب الناصر لدينه، والدين لا يُنصر في ميدان كربلا فحسب، بل تمتدّ نصرته إلى كلّ معركة في الأرض.

إنّها صورة مشوّهة، تلك التي تمثّل الإمام الحسين عليه السلام ضحيّةً ومغلوباً على أمره، وهي بلا شكّ من نسج أولئك الذين سوّدوا وجه



التاريخ، بإظهار الشيعة بمظهر الذّل والخنوع، والتعلّق بالماضي المشوّه، ذاك التعلّق الذي لا ينفصل عن الروح الإنهزاميّة، أمام الأحداث التي تتحدّى وجودنا ومصيرنا.

إنّ نداء الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر، وصرخته التي أطلقها عبر الأجيال، لا تستوجب إلاّ الصمود في مواجهة الأحداث، والإرتفاع معه إلى حيث أراد من ثورته، وهو أن لا يقف أحدنا أمام حقّه المسلوب، وقفة الخانع الذليل. وإنّما يريد منّا أن نمدّ إلى حقّنا يد العزّة والقوّة، ولا نردّها إلاّ وهي قابضة عليه، أو هي مقطوعة دونه.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام وإن كان مظلوماً، فإنه ثائر. وهو وإن كان ضحيّة، لكنّه في الوقت نفسه شهيد. إنّ النظر إلى الحسين عليه السلام، بهذه الصورة، يبعث العزّة في كلّ نفس، ويشعل النار في كلّ قلب على الظلم، ويؤجّج الثورة في كلّ إنسان وفي كلّ مكان.

وهل يستطيع الإمام الحسين عليه السلام أن يفعل غير ما فعل، وهو يرى من حوله ظلماً واستبداداً، وتحريفاً للشريعة وتبديلاً للنظام، وهو يحتلُّ المركز القياديّ في العالم الإسلامي؟ إنّه حين رأى أنّ الوضع يتعذّر إصلاحه بالحسنى، وأنّه لا بدّ من القيام بعمل (استشهاديّ) يستيقظ معه الناس على الحقّ الضائع، هيّأ لثورته أسباب الفاجعة، بالشكل الذي لم يسبق له نظير في دنيا الناس، لأنّه أراد أن يجعل من ثورته ناراً تأتي على الحكم الظالم المستبدّ فتحرقه بمن فيه.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام ينادينا بلسان الثائر والشهيد، لا بلسان



الضحية والمظلوم، لأنّه لا يريد أن يثير فينا روح الخنوع والإستسلام، وإنّما يريد أن يثير فينا روح الثورة والفداء. تلك الروح التي انحسرت رويداً رويداً من صفوف أفرادنا، ومن صفوف مجتمعنا.

إنّنا كمسلمين لم ننتصر على أعدائنا، إلاّ بعدما انتصرنا على أنفسنا. إنّنا لم ننتصر بقوّتنا، ولا بكثرة عددنا، وإنّما انتصرنا بالإيمان بقضيّتنا، إيماناً نستسهل معه الموت في سبيلها. ولدينا من تاريخنا مثلان بارزان يفتحان أمامنا الطريق، أوّلهما معركة بدر، التي انتصرت فيها القلّة المؤمنة على الكثرة الكافرة، وهي درس لنا نتعلّم منه أنّ الغلبة للحقّ لا للقوّة.

وثانيهما الإنتصار الكبير الذي تحقّق في وقعة حُنين، التي أصبح الإسلام من بعدها قوّة كبيرة خضعت لها الجزيرة العربيّة بكاملها. ولقد علّمتنا هاتان المعركتان اللتان تحوّل فيهما مجرى التاريخ، أنّ الإيمان بالله والتسليم لأمره، هما الشرطان الأساسيّان لإنتصارنا. ولذا لمّا أصاب الغرور بعض المسلمين في وقعة حنين، انهزموا شرّ هزيمة بالرغم من قوّتهم وكثرة عددهم. ولولا ثبات من ثبت مع النبيّ وعلى رأسهم عليّ، الذي دارت رحى المعركة على يده وحده والمسلمون منهزمون، لكان قد تمّ القضاء على الإسلام وأهله، كما قصّ الله لنا من أمر هذه الوقعة بقوله ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ

Scanned with CamScanner

﴿٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١). والمراد من المؤمنين عليّ ومن ثبت حول النبيّ من الثمانية الذين أحدقوا به، كما حدّث التاريخ، بل لولا عليّ لما ثبت هؤلاء، فقد خاض المعركة بنفسه حتّى جاء برأس أبي جرول.

وختاماً، فالذي يجب أن نجنيه من إحيائنا لذكرى الحسين، في كلّ مناسبة، هو أن نتّصل به عبر الفاصل الزمنيّ، اتصالاً عقائديّاً لا عاطفيّاً، بمعنى أن يتحوّل الإمام الحسين عليه السلام في قلوبنا وعقولنا، إلى قوّة عمل تدفعنا إلى تجديد صلتنا بالله، صلة خالصة من كلّ شائبة، وتدفعنا إلى التضحية على كلّ صعيد، من أجل الحقّ والعدل، لنكون أهلاً للنصر من عند الله، كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾(٢).

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٥١.



العلّامة الشيخ حسين معتوق، اسمٌ لَمَعَ في أواسط القرن العشرين، حيث استطاع بفطنته الفريدة أن يحوّل المنبر الحسيني إلى مدرسةٍ تُعلِّم الناس مناهج الحياة والعزة.

غيّر نظرة الناس نحو العلماء في وقت كانت فيه الحركات الإلحادية تعمل ليل نهار من أجل إبعاد الناس عن دينهم وقيمهم ورسالتهم وعلمائهم.. فقد واجههم بكل قوة واستطاع أن يحدّ من أذاهم لا سيّما في منطقة الغبيري في بيروت، وفي قرى النبطية في جبل عامل.







بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العلم
هاتف 01/471070 - ص - ب 25/327024/53
www.almaaref.org
email:info@almaaref.org
www.almenbar.org